

# شِرْأَعُ ثَلَاثَةُ الْأَصْوَلِ

لِفَضْيَلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَيْمِ  
مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَيْمَانِ  
غَفَّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

إِعْدَاد  
الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
فَخْدُبْنَ نَاصِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الشَّيْمَانِ

دار الشريعة للنشر

شرح  
ثلاثة الأصول

دار الثريا للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين ، محمد بن صالح

شرح ثلاثة الأصول / اعداد فهد ناصر السليمان . - الرياض .

ص ٤ ... س

ردمك ٩٤٠-٩٦٠-٩٩٦

١ - العقيدة الاسلامية ٢ - التوحيد ٣ - الصلاة ٤ - الالوهية

أ - السليمان ، فهد ناصر (معد) ب - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٧/٠٠٣١

رقم الإيداع : ١٧/٠٠٣١

ردمك : ٩٤٠-٩٤٠-٩٦٠

## الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إلا من أراد طبعه لتوزيعه مجاناً بعد مراجعة

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية - عنيزه

ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٦٣٦٤٢٠٠٩

WWW.binothaimeen.com

info@binothaimeen.com



دار الثريا للنشر والتوزيع

فاكس ٤٠٢٦١٥ ص.ب ٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد الكتروني darthurayya@hotmail.com

# شِرْكَةُ ثَلَاثَةِ الْأَصْوَلِ

لِفَضْيَّلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَمَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِيِّنَ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِبَرِّئَيْنِ

إِعْدَادُ  
الْفَقِيرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
فَهْدُ بْنُ نَاصِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْشَّيْمَانِ

دار الشريعة للنشر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

نسمة من المذهب

لقد أذنت للشيخ فهد بن ناصر السليمان أن يطبع ما يرى طبعه مخالفاتي  
والرسائل الصادرة من رأوصيه بالعنایة بالتصحيح وإن لم يتحقق ذلك  
الطبع معنـا أو لا داعـنـا أن يطبعها ليرزقـها مجانـاـ. قال ذلك كاتبه محمد الصـلـع العـشـرين  
١٤١١ هـ ١٠.١١

الكتاب



ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

-رحمه الله تعالى-

\* نسبة:

هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بنى تميم.

\* مولده:

وُلد هذا العالم في بلدة العينية سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

\* نشأته:

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً وكان موضع الاعجاب من والده لقوته حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الشمربي، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمربي مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحذث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم

ال الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات . وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمة الله تعالى - قد وحبه الله فهماً ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب على المطالعة والبحث ، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسام من الكتابة وقد خط كتاباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم - رحهما الله - ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف .

ولما توفي والده - سنة ١١٥٣ هـ - أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله وانكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل الأوثان والأصنام ، وقد شدّ أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره .

### \* مؤلفاته:

وله - رحمة الله تعالى - مؤلفات نافعة نذكر منها :

- ١ - كتاب التوحيد.
- ٢ - كتاب «كشف الشبهات».
- ٣ - كتاب «الكبير».
- ٤ - كتاب «ثلاثة الأصول».
- ٥ - كتاب «مختصر الإنصاف والشرح الكبير».
- ٦ - كتاب «مختصر زاد المعاد».
- ٧ - له فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت اشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

\* وفاته:

توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦ هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن  
الإسلام وال المسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِقَلْمَنْ

الفقير إلى الله تعالى

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان



ترجمة الشارح  
فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين  
-رحمه الله تعالى -

\* نسبة:

هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهبي التميمي.

\* مولده:

ولد في مدينة عنزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

\* نشأته:

قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله فحفظه، ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي، والثاني الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع رحمه الله، قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن السعدي، ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبدالرحمن أيضاً، والأجرامية والألفية.

وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه.

• وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه

والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه رحمه الله فعندما انتقل والد الشيخ محمد - رحمه الله - إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه ولده - الشيخ رحمه الله - فكتب له الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله «إن هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد» .

ويقول فضيلة الشيخ رحمة الله «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريره للطلبة بالأمثلة والمعاني ، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، وكان رحمه الله على قدر كبير في العلم والعبادة ، وكان يمازح الصغير ، ويضحك إلى الكبير ، وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً» .

- قرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثاني ، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

يقول الشيخ «تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية بالحديث ، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس» .

- في عام ١٣٧١هـ جلس للتدرис في الجامع ، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها عام ١٣٧٢هـ ، يقول الشيخ رحمه الله :

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية ، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي ، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمة الله ، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام ، فكنت في القسم الخاص ، وكان في ذلك الوقت أيضاً من

شاء أن يقفر - كما يعبرون - بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني ، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» اهـ .

- وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً في معهد عنيزه العلمي مع موافقة الدراسة اتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي .
- ولما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تولى إماماة الجامع الكبير بعنيزه والتدريس في مكتبة عنيزه الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، ولفضيلة الشيخ رحمه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال .
- والجدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد عرض بل ألح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء ، بل أصدر قراره بتعيينه حفظه الله تعالى رئيساً للمحكمة الشرعية بالاحساء فطلب منه الإعفاء ، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء .

### \* مؤلفاته:

له رحمة الله تعالى مؤلفات كثيرة تبلغ ٤٠ ما بين كتاب ورسالة وسوف تجمع إن شاء الله تعالى في مجموع الفتاوى والرسائل .



بسم الله الرحمن الرحيم ..... (٢) ..... (١)

(١) ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة، واتباعاً لحديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر». (١) واقتداء بالرسول ﷺ، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

الجار والجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره بسم الله أكتب أو أصنف.  
وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.  
وقدرناه مؤخر الفائدين:

الأولى: التبرك بالبداية باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: افاده الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله نبتدئ ما يدري بماذا نبتدئ، لكن باسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به.

(٢) الله علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿كَتَبْتُ آنِزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَتِ إِلَى النُّورِ يَا ذِينَ رَبِّهِمْ إِلَى صَرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَمْأُنْ مِنْ أَسْمَانَهُ مِنْ أَنْ يَعْلَمَهُ﴾

(١) عزه السيوطي في الجامع الصغير للرهاوي ٤/١٤٧، وأخرجه الخطيب في «الجامع» ٢/٦٩. وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة، وقد سُئل شيخنا العلامة محمد العشيمين - حفظه الله ورعاه - عن هذا الحديث فقال: «هذا الحديث اختلف العلماء في صحته فمن أهل العلم من صاحمه واعتمده كالنزوبي، ومنهم من ضعفه. ولكن تلقى العلماء هذا الحديث بالقبول ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً...» انتهى من كتاب (العلم) لنضيلة شيخنا - يسر الله نشره -.

## الرحمن<sup>(١)</sup> الرحيم<sup>(٢)</sup> أعلم<sup>(٣)</sup> .....

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢١﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢١] لا نقول إن لفظ الجملة «الله» صفة بل نقول هي عطف بيان لثلا يكون لفظ الجملة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(١) الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة.

(٢) الرحيم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواسعة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواسعة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصى برحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٢١].

(٣) العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

ومراتب الإدراك ست:

**الأولى:** العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

**الثانية:** الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

**الثالثة:** الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

**الرابعة:** الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

**الخامسة:** الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساواه.

**السادسة:** الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

رَحِمْكَ اللَّهُ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ يَحِبُّ عَلَيْنَا تَعْلِمَ أَرْبَعَ مَسَائِلَ<sup>(٢)</sup>؛ الْأُولَى : الْعِلْمُ .  
وَهُوَ : مَعْرِفَةُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> .. . . . .

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

(١) رَحِمْكَ اللَّهُ أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي تَحَصَّلُ بِهَا عَلَى مَطْلُوبِكَ وَتَنْجُو مِنْ مَحْذُورِكَ، فَالْمَعْنَى غَفْرَةُ اللَّهِ لَكَ مَا مَضَى مِنْ ذَنْبِكَ، وَوَفْقَكَ وَعَصْمَكَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْهَا هَذَا إِذَا أَفْرَدْتَ الرَّحْمَةَ، أَمَا إِذَا قَرَنْتَ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا مَضَى مِنَ الذَّنْبِ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ لِلخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذَّنْبِ فِي الْمُسْتَقْبِلِ.

وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنایته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

(٢) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

(٣) أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل : « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ » [سورة الذاريات، الآيتين : ٢٠-٢١].

## وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ<sup>(١)</sup> وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ<sup>(٢)</sup> . . . . .

(١) أي معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق ، وتصديقه فيما أخبر ، وامتثال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه ونحوه ، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكِّمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥١] . وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٥٩] . وقال عز وجل : ﴿ فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور ، الآية : ٦٣] . قال الإمام أحمد رحمه الله : « أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك » .

(٢) قوله معرفة دين الإسلام : الإسلام بالمعنى العام هو التبعيد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام الله عز وجل : قال الله تعالى عن إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٢٨] .

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم ، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسالتهم ،

.....  
.....  
**بـالـأـدـلـة**<sup>(١)</sup>

فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه السلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه السلام، وأما حين بعث النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه فكفروا به فليسوا ب المسلمين . وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبته قال الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسَلَمُ » [سورة آل عمران ، الآية : ١٩] ، وقال : « وَمَنْ يَتَبَعَ عِنْدَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ » [آل عمران ، الآية : ٨٥] وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وأمته ، قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا » [سورة المائدة ، الآية : ٣] .

(١) قوله : بالأدلة جميع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب ، والأدلة على معرفة ذلك سمعية ، وعقلية ، فالسمعيه ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة ، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل ، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع في كتابه لكم من آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى .

وأما معرفة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ » [سورة الفتح ، الآية : ٢٩] الآية . وقوله : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » [سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤] . بالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة ، وما جرى على يديه من خوارق العادات ، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها .

## الثانيةُ العَمَلُ بِهِ<sup>(١)</sup> الثالثةُ: الدُّعْوَةُ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> .....

(١) قوله العمل به أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة ، والعبادات المتعدية ، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة ، والصوم ، والحجج ، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك .

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم ، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى ، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود .

(٢) أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله عز وجل في قوله : «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ وَجَدِيلَهُمْ بِإِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ» [سورة النحل ، الآية : ١٢٥] والرابعة قوله : «﴿ وَلَا يَحْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا إِلَيْتِي هِيَ أَحَسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾» [سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦] .

ولابد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة . لقوله تعالى : «قُلْ هَذِهِ دِرِيَّةٌ سَبِيلٌ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِمُشْرِكٍ بِكَ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ١٠٨] وال بصيرة تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي ، وفي كيفية الدعوة ، وفي حال المدعو .

ومجالات الدعوة كثيرة منها : الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة ، وإلقاء المحاضرات ، ومنها الدعوة إلى الله بالمقالات ، ومنها الدعوة إلى الله بحلقات العلم ، ومنها الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف ،

ومنها الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين ثم تبتدئ المناقشة ومعلوم أن المناقشة والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاء مرسلًا كما هو معلوم.

والدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة منتبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومن الله عليه بال توفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ أخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل ولنشر بالخير، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خير: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فهو الله لأن يهدى الله بك رجالاً واحداً خير لك من حمر النعم»<sup>(١)</sup> متفق على صحته. ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ فيما رواه مسلم أيضاً: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة. ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

(٢) مسلم، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمرکوب وغيره.

## الرَّابِعَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ<sup>(١)</sup> .....

(١) الصبر حبس النفس على طاعة الله ، وحبسها عن معصية الله ، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل ، ويكون دائمًا نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أوذى ، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنْتُمْ نَصْرَنَا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٤] وكلما قويت الأذية قرب النصر ، وليس النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تتحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذأ به وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصاراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً ، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها ، صابراً على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل ، صابراً على ما يعرض دعوته ، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى ، وهذا هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى : ﴿ كَذَّلِكَ مَا أَفَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَسُولٍ إِلَّا قَاتَلُوا سَاحِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٢] وقال عز وجل : ﴿ وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَذَّبَهُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣١] ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّا نَخْنُونَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٢٣] كان من المتضرر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال : ﴿ فَاصْبِرْ لِحَكْمِ رَبِّكَ ﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٢٤] وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر ، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول :

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾<sup>(١)</sup> . . .

«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup> فعل الداعية أن يكون صابراً محتسباً.

والصبر ثلاثة أقسام :

- ١ - صبر على طاعة الله .
- ٢ - صبر عن محارم الله .

٣ - صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه ، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء .

(١) قوله والدليل أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر ، فأقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتوصي بالحق ، والتوصي بالصبر .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : جهاد النفس أربع مراتب :  
إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه .

(١) رواه البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب : غزوة أحد .

.....

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين».

فالله عز وجل أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربع:

أحدها: الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع.

الثاني: العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً.

الثالث: التواصي بالحق وهو التواصي على فعل الخير والتحث عليه والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمِئُنُوا بِإِلَهِكُمْ» [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

قال الشافعى - رحمة الله تعالى<sup>(١)</sup> : «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم»<sup>(٢)</sup> وقال البخاري - رحمة الله<sup>(٣)</sup> : «باب العلم قبل القول والعمل». والدليل قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩] ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل<sup>(٤)</sup>.

(١) الشافعى هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ وهو أحد الأئمة الأربع على الجميع رحمة الله تعالى.

(٢) مراده رحمة الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

وقوله : «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم» لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلابد أن يسعى إلى تخلص نفسه من الخسان وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

(٣) البخاري هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيمًا في حجر والدته، وتوفي رحمة الله في خرّنَك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(٤) استدل البخاري رحمة الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل

.....

القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمهها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكرис جهود.

\* \* \*

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ: أَنَّهُ يَجْبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلَمُ ثَلَاثَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ، الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا<sup>(١)</sup> . . . . .

(١) ودليل ذلك أعني أن الله خلقنا سمعي وعقلي :

أما السمعي فكثير ومنه قوله عز وجل : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْرُونَ » [سورة الأنعام، الآية: ٢] وقوله : « وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم مِّمَّا صَوَرْنَاكُم » [سورة الأعراف، الآية: ١١] الآية ، وقوله تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَّا مَسْنُونٍ » [سورة الحجر، الآية: ١٥] وقوله : « وَمَنْ أَيْمَنِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْشَرْتُ بَشَرًا تَنَسَّرُوا » [سورة الروم، الآية: ٢٩] وقوله : « خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ » [سورة الرحمن، الآية: ١٤] وقوله : « أَلَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ » [سورة الزمر، الآية: ٦٢] وقوله : « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » [سورة الصافات، الآية: ٩٦] وقوله : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَنَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] إلى غير ذلك من الآيات .

أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : « أَمْ حُكْمُوا مِنْ عَيْرٍ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ » [سورة الطور، الآية: ٣٥] فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق ، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجود؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتألف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة . إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا أمر إلا الله ، قال الله تعالى : « أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَالْأَمْرُ » [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

..... وَرَزَقَنَا<sup>(١)</sup>

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَابٌ رَّبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور، الآيات: ٣٧-٣٥] وكان جبير بن مطعم يومئذ مشركاً فقال: «كاد قلبي أن يطير بذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي». <sup>(٢)</sup>

(١) أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل أما الكتاب: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّافِعُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّиِّنُ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ [سورة سباء، الآية: ٢٤] وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدْرِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١] والآيات في هذا كثيرة.

وأما السنة: فمنها قوله ﷺ في الجنين يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. <sup>(٢)</sup>

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَبِّيْمَ مَا تَحْرِيْرُونَ \* أَنَّتُمْ تَرْرَعُونَهُ أَمْ تَحْنُنُ الْزَّرِّعُونَ \* لَوْنَشَاءَ لَجَعَلَنَّهُ حُطَّنَّا فَظَلَّتُمْ تَنَكَّهُونَ \* إِنَّا لَمُغْرِّمُونَ \* بَلْ تَحْنُنُ حَمَوْمُونَ \* أَفَرَبِّيْمَ الْمَاءَ

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور.

(٢) البخاري، كتاب القدر. ومسلم، كتاب القدر.

وَلَمْ يَتُرْكُنَا هَمَلًا<sup>(١)</sup> بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا<sup>(٢)</sup> .....

الَّذِي تَشْرِيبُونَ \* أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزِّنَةِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ \* لَوْنَشَاءَ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا شَكُورُونَ<sup>﴿﴾</sup> [سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٧٠] ففي هذه الآيات بيان إن رزقنا طعاماً وشراباً من عند الله عز وجل.

(١) هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:

أما السمعية فمنها قوله تعالى: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْرًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعْلَمَ اللَّهُ أَكْلَمُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» [سورة المؤمنين، الآيتين: ١١٥، ١١٦] وقوله: «أَيْخَسَبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَرَكَ سُدًّى \* أَلْرَيْكُ نُطْفَةٌ مِّنْ مَّيِّتٍ يُعْنَى \* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوْئَى \* بَعْدَ مِنْهُ الْزَّوْجَيْنِ الْذَّكَرُ وَالْأُنْثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقُدْرَةٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى؟» [سورة القيمة، الآيات: ٤٠-٣٦].

وأما العقل: فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.

(٢) أي أن الله عز وجل أرسل إلينا عشر هذه الأمة أمة محمد ﷺ رسولاً يتلو علينا آيات ربنا، ويزكيانا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، كما أرسل إلى من قبلنا، قال الله تبارك وتعالى: «وَإِنْ مَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ» [سورة فاطر، الآية: ٢٤] ولابد أن يرسل الله الرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالى: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

## فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ<sup>(١)</sup> .. . . . .

كما أوحينا إلى نوح والنيشن من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وأسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطير ويسى وأيوب ويؤنس وهرون وسلمىن وأتينا داؤد زبورا \* ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تحليما \* رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمَا [سورة النساء، الآيات: ١٦٣-١٦٥]

ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين بنوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل بذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلىخلق رسلاً مبشرين ومنذرين الدليل قوله تعالى : «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدَّا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فَرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَيَلًا» [سورة المزمل ، الآيتين: ١٥، ١٦].

(١) هذا حق مستفاد من قوله تعالى : «وَاطِّبُعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةِ مَنْ رَأَيْتُمْ وَجَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ» [سورة آل عمران، الآيتين: ١٣٢-١٣٣] ومن قوله تعالى : «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّةَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [سورة النساء، الآية: ١٣] ومن قوله تعالى : «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» [سورة النور، الآية: ٥٢] وقوله : «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [سورة النساء، الآية: ٦٩] وقوله : «وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا عَظِيمًا» [سورة الأحزاب، الآية: ٧١] والآيات في ذلك كثيرة .

وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ<sup>(١)</sup> وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدَّا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَيَلًِا » [سورة المزمل، الآيتين: ١٥، ١٦].

الثانية: (٢) أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلِكٌ مُقْرَبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » [سورة الجن، الآية: ١٨].

= ومن قوله ﷺ: « كل أمتی يدخلون الجنة إلا من أبي » فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار »<sup>(١)</sup>  
رواہ البخاری.

(١) هذا أيضاً حق مستفاد من قوله تعالى: « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخَلُهُ نَارًا خَلِيلًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِمٌّ » [سورة النساء، الآية: ١٤] وقوله: « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦] وقوله: « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَلِيلَنَّ فِيهَا أَبْدًا » [سورة الجن، الآية: ٢٣] ومن قوله ﷺ في الحديث السابق: « ومن عصاني دخل النار ». .

(٢) أي المسألة الثانية مما يجتب علينا علمه أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله في قوله تعالى: « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » [سورة الجن، الآية: ١٨] فنهى الله تعالى أن يدعوا الإنسان مع الله أحداً،

(١) رواہ البخاری، کتاب الاعتصام بالكتاب والسنۃ، باب: الإقتداء بسُنن رسول الله ﷺ.

**الثالثة:** <sup>(١)</sup> أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوالَةً مِنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

والله لا ينهي عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّكُفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ وَإِنَّ شَكْرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٧] ، وقال تعالى : ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبه ، الآية : ٩] ، فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهم ، قال الله تعالى : ﴿وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٣٩] وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما ، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه ، فيغضب لما يغضب الله ، ويرضى بما يرضاه الله عز وجل ، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما . والشرك أمره خطير قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٤٨] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوَّلَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٧٢] وقال النبي ﷺ : «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» <sup>(١)</sup> .

**(١) أي المسألة الثالثة ما يجب علينا علمه الولاء والبراء ، والولاء والبراء**

(١) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب : من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .  
ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبْأَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتِهِمْ أَوْ لَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَبَرِّى مِنْ تَحْنِنَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْ لَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٢٢] [سورة المجادلة، الآية: ٢٢].

أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْحِذُوا بِطَاهَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُو نَكُمْ حَبَّاً لَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٨]. وقال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا لَا تَنْحِذُوا الْيَهُودَ وَالصَّدَرَى أَوْ لَيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْ لَيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا لَا تَنْحِذُوا الَّذِينَ أَنْهَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِبُوا مِنَ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أَوْ لَيَاءَ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنْ كُنُتمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٧] وقال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا لَا تَنْحِذُوا أَبَاءَكُمْ وَلِخَوَانِكُمْ أَوْ لَيَاءَ إِنْ أَسْتَحْبُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْأَيْمَنِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَلِخَوَانِكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَافِهِمُوا هَا وَتَجَرَّهُمْ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِ فِي سَيِّلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ﴾ [سورة التوبه، الآيتين: ٢٣-٢٤] وقال عز وجل : ﴿فَدَّ كَانَتْ لَكُمْ أُشْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَإِذْ قَاتُلُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَأْنَا مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

كَفَرُنَا بِكُمْ وَبِدَا يَبْتَدَا وَبَيْنَكُمُ الْعَذَّوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴿٤﴾

[سورة المتحنة، الآية: ٤] الآية . ولأن موالاة من حاد الله ومدارته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف ؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه ، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال ، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق ، وهذا لاشك ينافي الإيمان كله أو كماله ، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه ، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق .

\* \* \*

اعْلَمُ<sup>(١)</sup> أَرْشَدَكَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> لِطَاعَتِهِ<sup>(٣)</sup> : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ<sup>(٤)</sup> مِلَةُ<sup>(٥)</sup> إِبْرَاهِيمَ<sup>(٦)</sup> :  
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ<sup>(٧)</sup> مُخْلِصًا لِّهُ الدِّينَ<sup>(٨)</sup> . . . . .

(١) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادةه هنا.

(٢) الرشد: الاستقامة عن طريق الحق.

(٣) الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

(٤) الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل.

(٥) أي طريقة الدينية التي يسير عليه عليه الصلاة والسلام.

(٦) إبراهيم هو خليل الرحمن قال عز وجل: «وَأَنْجَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [سورة النساء، الآية: ١٢٥] وهو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به.

(٧) قوله «أن تعبد الله» هذه خبر «أن» في قول «أن الحنيفية» والعبادة بمفهومها العام هي «التذلل لله حبة وتعظيمًا بفعل أو أمره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه».

أما المفهوم الخاص لل العبادة - يعني تفصيلها - فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلوة، والزكاة، والصوم وغير ذلك من شرائع الإسلام».

(٨) الإخلاص هو التنقية والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولانبياً

وَبِذَلِكَ<sup>(١)</sup> أَمْرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 »وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ« [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]  
 ..... وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ يُوَحَّدُونِ<sup>(٢)</sup>

مرسلاً قال الله تعالى: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [سورة النحل، الآية: ١٢٣]. وقال الله تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَصْطَفَنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَيْلَمِ الْمُصْلِحِينَ \* إِذَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَيَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَافَنَ لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُوْنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [سورة البقرة، الآيات: ١٣٠-١٣٢].

(١) أي بالحنفية وهي عبادة الله مخلصا له الدين أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ» [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] وبين الله عز وجل في كتابه أن الخلق إنما خلقو لهذا فقال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

(٢) يعني التوحيد من معنى العبادة وإلا فقد سبق لك معنى العبادة وعلى أي شيء تطلق وأنها أعم من مجرد التوحيد.

وأعلم أن العبادة نوعان:

عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَقْرَبُ إِلَيَّ الرَّحْمَنَ عَبْدًا» [سورة مريم، الآية: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر،

وأَعْظَمُ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ : إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup> . . . . .

والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: « وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوَنًا » [سورة الفرقان، الآية: ٦٣]. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنّه بغير فعله لكن قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

(١) التوحيد لغة مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها الله وحده.

وفي الاصطلاح عرف المؤلف بقوله: « التوحيد هو إفراد الله بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً منخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا، ورغبة، ورهبة، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنّه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به».

وأنواع التوحيد ثلاثة:

**الأول:** توحيد الربوبية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك

والتدبر» قال الله عز وجل : ﴿أَلَّا هُنَّ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦٢] وقال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٣] وقال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الملك ، الآية : ١] وقال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٥٤].

الثاني : توحيد الألوهية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخد الإنسان مع الله أحداً يعبده ويقترب إليه كما يعبد الله تعالى ويقترب إليه». .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته ، ونفي ما نفاه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل». .

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأراضيهم وديارهم وسبى نسائهم وذرياتهم ، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [سورة النحل ، الآية : ٢٩]. فال العبادة لا تصح إلا لله عز وجل ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، فلو فرض أن رجلاً يقرأ إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه

وأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشَّرْكُ. وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شُرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾<sup>(١)</sup> [سورة النساء، الآية: ٣٦].

بشرك كافر خالد في النار قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي يبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

(١) أعظم ما نهى الله عنه الشرك وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَشَرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَطَ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨] وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨] وقال النبي ﷺ: «أعظم الذنب أن تجعل الله ندأً وهو خلقك»<sup>(١)</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر، رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»<sup>(٢)</sup> وقال

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك». ومسلم، كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أبغى الذنوب.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

**فإذا قيلَ لَكَ : مَا الأَصْوُلُ<sup>(١)</sup> الْثَّلَاثَةُ الَّتِي يَحِبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ . . .**

النبي ﷺ: «من مات وهو يدعوا من دون الله ندداً دخل النار»<sup>(١)</sup> رواه البخاري واستدل المؤلف رحمه الله تعالى لأمر الله تعالى بالعبادة ونفيه عن الشرك بقوله عز وجل: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٦] فأمر الله سبحانه وتعالى بعبادته ونفي عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.

والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنها لا يخرج عن الملة.

وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبشه وأصغره فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨].

(١) الأصول جمع أصل، وهو ما يبني عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مثَلًا لِّكُلِّمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَقِ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَرَعَّاهَا فِي السَّكَمَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢٤].

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ الآية: ١٦٥.

..... مَعْرِفَتُهَا<sup>(١)</sup>؟ فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبُّهُ<sup>(٢)</sup> ، .....

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

(١) أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن يتتبه الإنسان لها؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة؛ وإنما قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاهم ملكان فأعداه فسأله من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فاما المؤمن فيقول: ربى الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(٢) معرفة الله تكون بأسباب:

منها النظر والتفكير في خلقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وقدرته، وحكمته، ورحمته قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٥] وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقْوُمُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفَرْدًا ثُمَّ تَنَقَّكُرُوا﴾ [سورة سبا، الآية: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْمُبَشِّرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٠] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي آخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِتَقُومُ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة يومن، الآية: ٦] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي يَخْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ

وَدِينَهُ<sup>(١)</sup> ، . . . . .

**بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَّتَصْرِيفِ الْرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ أَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّدْتَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [سورة البقرة، الآية: ١٦٤].**

ومن أسباب معرفة العبد ربہ النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فینظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمه التي لا تقوم حیاة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربہ عز وجل كما قال الله عز وجل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْيَلَافًا كَثِيرًا» [سورة النساء، الآية: ٨٢].

ومنها ما يلقى الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربہ رأی العین قال النبي عليه الصلاة والسلام ، حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنْكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ بِرَاك» .<sup>(١)</sup>

(١) أي معرفة الأصل الثاني وهو دينه الذي كلف العمل به وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تاماً مبنياً على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق ، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به ، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم ، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة وارتكبوا

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : بيان أركان الإيمان والإسلام .

وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup> .  
 فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ<sup>(٢)</sup> ؟ فَقُلْ : رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي جَمِيعَ  
 الْعَالَمِينَ بِنَعْمَهِ<sup>(٣)</sup> ، .....

محاذير عظيمة حتى كان العائش بينهم في بعض البلاد الإسلامية يعيش في  
جو غير إسلامي .

والدين الإسلامي - بحمد الله تعالى - متضمن لجميع المصالح التي  
تضمنتها الأديان السابقة تمييز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان  
وأمة، ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي  
مصالح الأمة في أي زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل  
صالح وينهى عن كل عمل سيء، فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن  
كل خلق سافل .

(١) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه محمدًا ﷺ، وتحصل  
بدراسته حياة النبي ﷺ، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة  
إلى الله عز وجل، والجهاد في سبيله وغير ذلك من جوانب حياته عليه  
الصلاوة والسلام، ولهذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه  
وإيمانًا به أن يطالع من سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدة ورثائه  
وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ، باطنًا  
وظاهرًا، وأن يتوفانا على ذلك إنه ولية القادر عليه .

(٢) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمده، وأعدك، ورزقك .

(٣) التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربي، ويشعر

**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ<sup>(١)</sup> وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٢)</sup>** [سورة الفاتحة، الآية: ٢]. وَكُلَّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ

كلام المؤلف رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: «الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته» فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدتهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: «فَمَنْ رَبَّ كُمَا يَمُوْسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ هَذِهِ» [سورة طه، الآيتين: ٤٩-٥٠] فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمته.

ونعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا يمكن حصرها قال الله تبارك وتعالى: «وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُّوهَا» [سورة النحل، الآية: ١٨] فالله هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك، ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة.

(١) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ومحبة وتعظيمًا، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده سوى الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ» [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا لِيَعْبُدُوا أَنَّهُ مُخْلِصٌ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْهَا زَكْرُوْنَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» [سورة البينة، الآية: ٥].

(٢) استدل المؤلف رحمه الله لكون الله سبحانه وتعالى مربياً لجميع الخلق بقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [سورة الفاتحة، الآية: ٢] يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده.

«رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي مربיהם بالنعم وخالقهم وما لكهم، والمدير لهم كما شاء عز وجل.

وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمَ<sup>(١)</sup>، فَإِذَا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ<sup>(٢)</sup>؟ فَقُلْ :  
بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ<sup>(٣)</sup> وَمَنْ آتَاهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَمَنْ  
مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا<sup>(٤)</sup> .

(١) العالم كل من سوى الله، وسمّوا عالماً لأنهم علم على خالقهم ومالكهم  
ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.  
وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربى وجب علىّ أن  
أعبده وحده.

(٢) أي إذا قيل لك : بأي شيء عرفت الله عز وجل ؟  
فقل : عرفته بآياته وخلوقاته .

(٣) الآيات : جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه .  
وآيات الله تعالى نوعان : كونية وشرعية ، فالكونية هي المخلوقات ،  
والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسle ، وعلى هذا يكون قول  
المؤلف رحمه الله «بآياته وخلوقاته» من باب عطف الخاص على العام إذا  
فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية ، أو من باب عطف المباين  
المغاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية . وعلى كل فالله عز وجل  
يعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب  
الصنعة وبالغ الحكمة ، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل ،  
والاشتمال على المصالح ، ودفع المفاسد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(٤) كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة ، وكمال الحكمة ، وكمال

.....

الرحمة، فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظماً بديعاً منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم، فهي تسير لمستقر لها كما قال تعالى : «**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقِرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**» [سورة يس، الآية: ٣٨] وهي من آيات الله تعالى بحجمها وأثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما أثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار وغير ذلك ، فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها ومع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة ، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التي يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس فإن الناس في النهار يستغون عن كل إضاءة ويحصل بها مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم ويعدها من الآيات التي لا ندرك إلا اليسيير منها.

كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة «**وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْمَرْجُونَ الْفَقِيرِ**» [سورة يس، الآية: ٣٩] فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص ، وهو يشبه الإنسان حيث أنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى فتبarak الله أحسن الخالقين .

والدَّلِيلُ<sup>(١)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا سَجَدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجَدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٧] وَقَوْلُهُ<sup>(٢)</sup> تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ يَأْمُرُهُ أَلَّا لَهُ أَخْفَى وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

(١) أي والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ ءَايَتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾ ... إلخ أي من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار في ذاتهما واحتلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم.

ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغًا عظيمًا في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن.

(٢) قوله أي من الأدلة على أن الله خلق السموات والأرض قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ الآية وفيها من آيات الله :

أولاً: إن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء خلقها

.....

بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

ثانياً: أنه استوى على العرش أي علا عليه علواً خاصاً به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

ثالثاً: أنه يغشى الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

رابعاً: أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذلالات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لصلاحة العباد.

خامساً: عموم ملكه وتمام سلطانه حيث كان له الخلق والأمر لا لغيره.

سادساً: عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

\* \* \*

**وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ<sup>(١)</sup>، وَالدَّلِيلُ<sup>(٢)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ<sup>(٣)</sup>  
أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ<sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ<sup>(٥)</sup> الَّذِي**

(١) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قول الله عز وجل : « إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الْأَيَّلَ  
النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثِ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَتٍ بِإِرْرَادَةِ أَلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » [سورة الأعراف ، الآية : ٢٥٤] فالرب هو المعبود أي هو  
الذي يستحق أن يعبد ، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة ، وليس  
المعنى أن كل من عبد فهو رب فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها  
عبادوها أرباباً من دون الله ليست أرباباً .

والرب هو : الخالق ، المالك ، المدبّر لجميع الأمور .

(٢) أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة .

(٣) النداء موجه لجميع الناس منبني آدم أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه  
وحده لا شريك له فلا يجعلوا له أنداداً ، ويبين أنه إنما استحق العبادة  
لكونه هو الخالق وحده لا شريك له .

(٤) قوله « الَّذِي خَلَقَكُمْ » هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق أي اعبدوه لأنه  
ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً عليكم أن  
تعبدوه ، ولهذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان  
متناقضاً .

(٥) أي من أجل أن تحصلوا على التقوى ، والتقوى هي اتخاذ وقاية من  
عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره واجتناب نواهيه .

**جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا<sup>(١)</sup> وَالسَّمَاءَ بَنَاءً<sup>(٢)</sup> وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً<sup>(٣)</sup> فَأَخْرَجَ  
بِهِ، مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ<sup>(٤)</sup> فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا<sup>(٥)</sup> وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(٦)</sup>**

[سورة البقرة، الآيتين: ٢١، ٢٢].

(١) أي جعلها فراشاً ومهاداً نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

(٢) أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ كما قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُظًا وَهُمْ عَنِ ابْيَاهَا مُعْرِضُونَ» [سورة الأنبياء، الآية: ٣٢].

(٣) أي أنزل من العلو من السحاب ماءً طهوراً كما قال تعالى: «لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونٌ» [سورة النحل، الآية: ١٠].

(٤) أي عطاكم وفي آية أخرى: «مَنْعَالَكُمْ وَلَا تَنْعِمُكُمْ» [سورة النازعات، الآية: ٣٣].

(٥) أي لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فرashaً والسماء بناء، وأنزل لكم من السماء ماءً فاخراج به من الثمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلأ ولا شرعاً.

(٦) أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة.

**قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحْمَةُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(١)</sup> - : «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُ لِلِّعْبَادَةِ» .**

**وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا<sup>(٢)</sup> : مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ،**

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

(٢) لما بين المؤلف رحمة الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له ، بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة فقال : وأنواع العبادة مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

وهذه الثلاثة الإسلام ، والإيمان ، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأنسد ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوقي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتومن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه

وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالْإِسْتِعَاةُ، وَالْإِسْتِعَاذَةُ، وَالْإِسْتِغَاةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ بِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى<sup>(١)</sup>. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨] ، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا أَخْرَ لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكُفَّارُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> [سورة المؤمنون، الآية: ١١٧].

فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن إماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي يا عمر: أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم<sup>(١)</sup> فجعل النبي ﷺ هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله.

(١) أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره الله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى.

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله تعالى جملة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

(١) تقدم تخریجه ص ٤٠ ، وانظر: شرح الحديث في «مجموع الفتاوى والرسائل» لفضيلة شيخنا - حفظه الله ورعاه - المجلد الثالث ، ص ١٤٥ .

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخْلِّصٌ لِلْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ فَأَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> [سورة غافر، الآية: ٦٠].

فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» وَبِقُولِهِ : «وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ أَخْرَ لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّمَا لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ» وَوِجْهُ الدِّلَالَةِ مِن الآيَةِ الْأُولَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ وَهِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ أَوْ أَعْصَاءِ السُّجُودِ لَهُ وَرَتَبَ عَلَى ذَلِكَ قُولَهُ : «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» أَيْ لَا تَعْبُدُوْا مَعَهُ غَيْرَهُ فَتَسْجُدُوْا لَهُ ، وَوِجْهُ الدِّلَالَةِ مِنَ الآيَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَنْ مَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ أَخْرَ فَإِنَّهُ كَافِرٌ لَأَنَّهُ قَالَ : «إِنَّمَا لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ» وَفِي قُولِهِ : «لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَرْهَانًا عَلَى تَعْدُدِ الْأَلَهَةِ فَهَذِهِ الصَّفَةُ «لَا بُرْهَنَ لَهُ بِهِ» صَفَةٌ كَاشِفَةٌ مُبِينَةٌ لِلْأَمْرِ وَلَيْسَتْ صَفَةً مُقيِّدةٌ تَخْرُجُ مَا فِيهِ بَرْهَانٌ لَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَرْهَانًا عَلَى أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ أَخْرَ .

(١) هذا شروع من المؤلف رحمة الله تعالى في أدلة أنواع العبادة التي ذكرها في قوله : « وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء . . ». إلخ ، فبدأ رحمة الله بذكر الأدلة على الدعاء وسيأتي إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان . واستدل المؤلف رحمة الله بما يروى عن النبي ﷺ ، أنه قال : « الدعاء مخ العبادة »<sup>(١)</sup> واستدل كذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدِّلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فدلت الآية

(١) أخرجه الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب: فضل الدعاء . وقال: حديث غريب من هذا الوجه .

وَدَلِيلُ الْخُوفِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٥] .....

الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولو لا ذلك ما صح أن يقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدِ الْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعوا حيًا أو ميتاً. ومن دعا حيًا بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان اطعمني، يا فلان ا SCNي فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

الدعاء المسألة هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الإفتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويحوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قول القائل يا فلان اطعمني.

وأما دعاء العبادة فأأن يتبعده للداعي طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدِ الْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠].

(١) الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

**وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى :** ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَلِحًا وَلَا يُشَرِّكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup> [سورة الكهف، الآية: ١١٠] . . . . .

### والخوف ثلاثة أنواع :

**النوع الأول :** خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿فَأَصَبَّهُ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْتَبَبُ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل حرام دليل قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧٥] .

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب وأطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحيثند يتسرع العبد وينكمش وربما يتمادي في المعصية لقوة يأسه.

**النوع الثاني :** خوف العبادة أن يخاف أحداً يتبع بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفة لغير الله تعالى شرك أكبر.

**النوع الثالث :** خوف السر لأن يخاف صاحب القبر، أو ولينا بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سرّ فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.

(١) الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال

وَدَلِيلُ التَّوْكِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ » [سورة المائدة، الآية: ٢٣] ، وَقَالَ : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » [١] [سورة الطلاق، الآية: ٣] . . . . .

تنزيلاً له منزلة القريب .

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . وقد استدل المؤلف بقوله تعالى : « فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَهْلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وقبح مذموم .

(١) التوكل على الشيء الإعتماد عليه . والتوكيل على الله تعالى: الإعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: « وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ » وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى: « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » أي كافيه ثم طمأن المتكفل بقوله: « إِنَّ اللَّهَ بِلَغْ أَمْرِهِ » [سورة الطلاق، الآية: ٣] فلا يعجزه شيء أراده .

واعلم أن التوكيل أنواع :

**الأول:** التوكيل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه

**وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ<sup>(١)</sup> وَالرَّهْبَةِ<sup>(٢)</sup> وَالخُشُوعِ<sup>(٣)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا**

وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضره فهذا شرك أكبر؛ لأنّه لا يقع إلا من يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكّل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والإعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا يأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكّل بحيث ينبع غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا يأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه ﴿يَأَبْنَائِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٧] ووكل النبي ﷺ، على الصدقة عملاً وحفظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المئنة بعد أن نحر بِنَاحِيَّةِ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

(١) الرغبة: حبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

(٢) والرّهبة: الخوف المثير للهرب من المخوف فهي خوف مقررون بعمل.

(٣) الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضاءاته الكوني والشرعى.

**يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاسِعِينَ ﴿١﴾**

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٠].

**وَذِلِيلُ الْخَشِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «فَلَا تَخْشُوهُمْ وَلَا خَشُوفُنِي» ﴿٢﴾** [سورة البقرة، الآية: ١٥٠]

(١) في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمئناً في ثوابه مع خوفهم من عقابه وأثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمان من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه.

(٢) الخشية هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشأه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَتُوْا» [٢٨] [سورة فاطر، الآية: ٢٨] أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف، ويتبين الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدرى هل هو قادر عليك أم

**وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَبْيُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾** [١] [سورة الزمر، الآية: ٥٤].

لا فهذا خوف ، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية .  
ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف .

(١) الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا الله تعالى ودليلها قوله تعالى : **﴿ وَأَبْيُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾**.

والمراد بقوله تعالى : **﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾** الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية وذلك أن الإسلام الله تعالى نوعان :

الأول : إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى : **﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾** [سورة آل عمران، الآية: ٨٣].

الثاني : إسلام شرعى وهو الاستسلام لحكمه الشرعى وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وإتباعهم بإحسان ، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله .

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥] ، وَفِي الْحَدِيثِ : \* « إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »<sup>(١)</sup> .

### (١) الإِسْتِعَانَةُ طَلْبُ الْعُونِ وَهِيَ أَنْوَاعٌ :

**الْأُولُّ :** الإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَهِيَ : الإِسْتِعَانَةُ الْمُتَضْمِنَةُ لِكَمَالِ الدَّلِيلِ لِرَبِّهِ، وَتَفْوِيسِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادِ كَفَائِيَّتِهِ وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وَوَجْهُ الْإِخْتِصَاصِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ الْمُعْمَلَ ﴿ إِيَّاكَ ﴾ وَقَاعِدَةُ الْلُّغَةِ الَّتِي نَزَّلَ بِهَا الْقُرْآنَ أَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقَّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالْإِخْتِصَاصَ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ صَرْفُ هَذَا النُّوْعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شُرَكًا مُخْرَجًا عَنِ الْمَلَةِ .

**الثَّانِي :** الإِسْتِعَانَةُ بِالْمُخْلُوقِ عَلَى أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَهُذِهِ عَلَى حِسْبِ الْمُسْتَعَانِ عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَتْ عَلَى بِرٍ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ مُشْرُوَّعَةٌ لِلْمُعِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْنَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢] .

وَإِنْ كَانَتْ عَلَى إِثْمٍ فَهِيَ حَرَامٌ عَلَى الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢] .

وَإِنْ كَانَتْ عَلَى مِبَاحٍ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ لَكِنَّ الْمُعِينَ قَدْ يَثَابُ عَلَى ذَلِكَ ثَوَابَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ وَمِنْ ثُمَّ تَكُونُ فِي حَقِّهِ مُشْرُوَّعَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٥] .

**الثَّالِثُ :** الإِسْتِعَانَةُ بِمُخْلُوقٍ حَيٍّ حَاضِرٍ غَيْرُ قَادِرٍ فَهُذِهِ لَغُوٌّ لَا طَائِلٌ تَحْتَهَا مَثَلٌ أَنْ يَسْتَعِينَ بِشَخْصٍ ضَعِيفٍ عَلَى حَمْلِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ .

\* أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ / ١، ٢٩٣، وَالْتَّرْمِذِيُّ / ٤، ٥٧٥.

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق، الآية: ١] ، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> [سورة الناس، الآية: ١].

الرابع: الإستعاذه بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون.

الخامس: الإستعاذه بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿أَسْتَعِينُكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٣].

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٤] وقوله ﷺ: «إذا استعنت فاستعن بالله». <sup>(١)</sup>

(١) الإستعاذه: طلب الإعادة والإعاذه الحماية من مكروه فالمستعيذ محظى من استعاذه ومتخصص به والاستعاذه أنواع:

الأول: الإستعاذه بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والإعتماد به واعتقاد كفایته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ \* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخر السورة وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِنَّهُ أَنَّاسٌ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

(١) تقدم قريباً.

الثاني: الإستعاذه بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك  
ودليل ذلك قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»<sup>(١)</sup>  
وقوله: «أعوذ بعظمتك أن اغتال من تحبني»<sup>(٢)</sup> وقوله: في دعاء الألم  
«أعوذ بعزة الله وقدره من شر ما أجد وأحاذر»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «أعوذ برضاك  
من سخطك»<sup>(٤)</sup> ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ  
يَعْثِيَكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٥] فقال: «أعوذ بوجهك»<sup>(٥)</sup>.

الثالث: الإستعاذه بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على  
العوذ بهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِينَ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ  
الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٦]

الرابع: الإستعاذه بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن  
أو غيرها فهذا جائز ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتنة: «من تشرف لها تستشرفه  
ومن وجد ملجاً أو معاذاً فليعدبه»<sup>(٦)</sup> متفق عليه وقد بين ﷺ هذا الملجا  
والمعاذ بقوله: «فمن كان له إبل فليلحق بإبله» الحديث رواه مسلم ، وفي  
صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فأتى

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٥ / ٢٥، والنسائي ٨ / ٦٧٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٤ / ٤٢١٧، وأبو داود (٣٨٩١)، وابن ماجه (٢٥٢٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام، باب: قوله تعالى: «أو يلبسكم شيئاً».

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الفتنة، باب: تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم،  
كتاب الفتنة، باب: نزول الفتنة كموقع القطر.

**وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>**  
 [سورة الأنفال، الآية: ٩].

بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة<sup>(١)</sup>. الحديث، وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «يعوذ عائد بالبيت فيبعث إليه بعث»<sup>(٢)</sup> الحديث.

ولكن إن استعاذه من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذه بقدر الإمكان، وإن استعاذه ليتوصل إلى فعل مخظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

**(١) الإستغاثة طلب الغوث وهو الانقاد من الشدة والهلاك، وهو أقسام :**  
**الأول :** الإستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّ مُمْدُّكُمْ بِالْفِتْنَةِ مُرْدِفِينَ﴾ و كان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ ، إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول : «اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»<sup>(٣)</sup> وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداوئه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية .

(١) رواه ومسلم ، كتاب الحدود ، باب : قطع السارق الشريف وغيره .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن ، باب : الخسف بالجيش الذي يوم البيت .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الجهاد ، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ »<sup>(١)</sup> [سورة الاتعام، الآيتين: ١٦٢، ١٦٣] ، وَمِنَ السُّنَّةِ : « لَعْنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ » . \*

الثاني: الإستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنّه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيّاً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: « أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَرُوكَ » [سورة النمل، الآية: ٦٢].

الثالث: الإستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالإستغاثة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: « فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » [سورة القصص، الآية: ١٥].

الرابع: الإستغاثة بمحبي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مسلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المسلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

(١) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوه:  
الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ » .

\* آخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

وَدَلِيلُ النَّذْرِ<sup>(١)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُوهُ مُسْتَطِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>  
[سورة الإنسان، الآية: ٧] . . . . .

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله ﷺ: «من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف «أولم ولو بشاة»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوْنَزْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهِنَا أَنْعَمْنَا فَهُمْ لَهُمَا مَلِكُوْنَ \* وَذَلِّلْنَاهُمْ فِيمْنَاهُ رَكْوُبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس، الآيتين: ٧١، ٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(١) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُوهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

(٢) وجه الدلالة من الآية أن الله أثني عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة.

ويؤيد ذلك قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُوهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم، كتاب اللقطة، باب: الضيافة ونحوها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب: ما جاء في قوله تعالى: «إِذَا قضت الصلاة». مسلم، كتاب النكاح، باب: الصداق وجواز كونه تعليم القرآن وخاتم حديث.

**الأَصْلُ الثَّانِيُّ<sup>(١)</sup>** : مَعْرَفَةُ دِينِ الْإِسْلَامَ، بِالْأَدْلَةِ . وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ<sup>(٢)</sup>  
 ..... لِلَّهِ بِالْتَّوْحِيدِ<sup>(٣)</sup>

الإنسان فقد التزم بها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَاعُلَهُمْ وَلَيُؤْفُونَذُورَهُمْ وَلَيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٩].

والنذر الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة الله غير واجبة مكرروه، وقال بعض العلماء إنه حرم لأن النبي ﷺ، نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأني بخير وإنما يستخرج به من البخل»<sup>(١)</sup> ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة أن النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء الله عز وجل وقد قسم العلماء النذر الخاص إلى أقسام ومحل بسطتها ككتب الفقه.

(١) أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعني أن يعرف دين الإسلام بأدله من الكتاب والسنة.

(٢) دين الإسلام وإن شئت فقل الإسلام هو «الاستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله» فهو متضمن لأمور ثلاثة.

(٣) أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاماً شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وأفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب

(١) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر. ومسلم، كتاب النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية.

وَالْإِنْقِيادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ<sup>(١)</sup>، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ<sup>(٢)</sup>؛ وَهُوَ ثَلَاثٌ مَرَاتِبٌ<sup>(٣)</sup> : الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ<sup>(٤)</sup> . فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ<sup>(٥)</sup> : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ

عليه ، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى : « وَلَمَّا آتَيْنَاهُ الْإِسْلَامَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » [سورة آل عمران ، الآية : ٨٣] .

(١) وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه ؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه .

(٢) البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه ، ويخلص منه وهذا يستلزم البراءة من أهله قال الله تعالى : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ كُفْرَنَا بِكُمْ وَبِمَا يَتَّبِعُنَا وَبِمَا تَكُونُمُ الْعَدُوُّ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَهُنَّ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » [سورة المتحنة ، الآية : ٤] .

(٣) بين المؤلف رحمة الله تعالى أن الدين الإسلامي ثلات مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

(٤) دليل ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وبين له ﷺ ذلك وقال : « هذا جبريل أتاكם يعلمكم دينكم » .<sup>(١)</sup>

(٥) دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام

(١) تقدم تخرجه .

الله<sup>(١)</sup>، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدلائل الشهادة قوله تعالى : « شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ أَوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »<sup>(٢)</sup> [سورة آل عمران، الآية : ١٨].

الصلاحة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». <sup>(١)</sup>

(١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركن واحد وإنما كانت ركناً واحداً مع أنها من شقين لأن العبادات تبني على تحقيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، وإتباع الرسول عليه السلام وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله.

(٢) في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل ثم قرر ذلك بقوله : « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشرعيته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسلاه الكرام.

وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته، وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك « لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ».

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب : قول النبي عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس . . . ». ومسلم، كتاب الإيمان، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ؛ «لَا إِلَهَ» نَافِيًّا جَمِيعَ مَا يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ «إِلَّا اللَّهُ» مُثْبِتاً الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ<sup>(١)</sup> .....

(١) قوله ومعناها أي معنى لـإله إلا الله الا معبد بحق إلا الله فشهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإِنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبد حق إلا الله عز وجل لأنه «إله» بمعنى مألوه، والتاله التعبد، وجملة «لا إله إلا الله» مستمدلة على نفي وإثبات، أما النفي فهو «لا إله» وأما الإثبات فهو «إله الله» و«الله» لفظ الجلالة بدل من خبر «لا» المذوف والتقدير «لا إله حق إلا الله» وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبيّن الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال «لا إله إلا الله» مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسمها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: «فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَلَهَتِهِمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَاجِأَهُمْ رَبِّكُمْ» [سورة هود، الآية: ١١٠] وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم «أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»؟ [سورة الأعراف، الآية: ٥٩] والجواب على هذا الإشكال يتبيّن بتقدير الخبر في «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويidel لذلك قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» [سورة الحج، الآية: ٦٢] ويidel لذلك أيضاً قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ الْكَلْتَ وَالْعَزَّى \* وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةَ الْأُخْرَى \* أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْشَى \* تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْرَى \* إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

وَتَقْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ<sup>(١)</sup> لِأَيْهَى وَقَوْمَهُ إِنَّنِي بَرَاءٌ<sup>(٢)</sup> مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي<sup>(٣)</sup> فَإِنَّهُ سَيَهْدِينَ<sup>(٤)</sup> وَجَعَلَهَا<sup>(٥)</sup> ..... »

سُلْطَنٌ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَظْلَنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُهَدِّدَ<sup>(٦)</sup> » [سورة النجم، الآيات: ١٩-٢٣] وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ كُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ<sup>(٧)</sup> » [سورة يوسف، الآية: ٤٠] إذن فمعنى « لا إِلَهَ إِلَّا الله » لا معبد حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن أووهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقة أي أووهية باطلة.

(١) إبراهيم هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ وأبوه آزر.

(٢) (براء) صفة مشبهة من البراءة وهي أبلغ من بريء. قوله: « إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ<sup>(٨)</sup> » يوافي قول « لا إِلَه ».

(٣) خلقني ابتداء على الفطرة وقوله: « إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي<sup>(٩)</sup> » يوافي قوله « إِلَّا الله » فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه ودليل ذلك قوله تعالى: « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(١٠)</sup> » [سورة الأعراف، الآية: ٥٤] ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده فله الخلق ولله الأمر الكوني والشرعي.

(٤) « سَيَهْدِينَ<sup>(١١)</sup> » سيدلني على الحق ويوقفني له.

(٥) « وَجَعَلَهَا<sup>(١٢)</sup> » أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبد سوى الله .

**كَلْمَةٌ بَاقِيَّةٌ فِي عَقِيْدَةِ (١) لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢)**، وَقَوْلُهُ: «فَلْ (٣) يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَاوَلُوا إِلَى كَلِمَةٍ (٤) سَوَاءَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرَكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (٥) فَإِنْ تَوَلُّو (٦) فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِإِنَّا مُسْلِمُونَ» (٧) [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

(١) **﴿فِي عَقِيْدَةِ﴾** في ذريته.

(٢) **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** أي إليها من الشرك.

(٣) الخطاب للنبي ﷺ لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

(٤) **﴿تَعَاوَلُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا نعبد إلا الله هي معنى «لا إله إلا الله»، ومعنى **﴿سَوَاءَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** أننا نحن وإياكم سواء فيها.

(٥) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله عز وجل بحيث يعظم كما يعظم الله عز وجل، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

(٦) **﴿فَإِنْ تَوَلُّو﴾** أعرضوا عما دعوتموه إليهم.

(٧) أي فأعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله، برئيون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله».

وَدَلِيلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ (١) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ (٢) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (٤) [سورة التوبة، الآية: ١٢٨].

(١) قوله « قَنْ أَنفُسِكُمْ » أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعالى: « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّاتِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَشْلُوْ عَلَيْهِمْ وَيُنَزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » [سورة الجمعة، الآية: ٢].

(٢) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(٣) أي على منفعتكم ودفع الفضر عنكم.

(٤) أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخاص المؤمنين بذلك لأنَّه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلوظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » [سورة الفتح، الآية: ٢٩] وقوله تعالى: « قُلْ يَكَانُهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِجَيْعَنًا » [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أنَّ محمداً رسول الله حقاً.

\* \* \*

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمْرَ، وَتَصَدَّيْقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبُدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ<sup>(١)</sup>.

(١) معنى شهادة «أن محمدًا رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْqَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ١].

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وجزر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَاّ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَاّ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَاّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنَّ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠]. فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا \* قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهَ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [سورة الجن، الآيتين: ٢١، ٢٢] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْتَرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨].

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ، ولا من دونه من

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ<sup>(١)</sup>، وَتَقْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ<sup>(٢)</sup> وَذَلِكَ<sup>(٣)</sup> دِينُ الْقِيمَةِ»<sup>(٤)</sup> [سورة البينة، الآية: ٥].

المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده. « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَشَكِ وَحْيَانِي وَمَعَافِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » [سورة الأنعام، الآيتين: ١٦٢، ١٦٣]. وأن حقه عَلَيْهِ الْحَمْدُ، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إليها وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

(١) أي أن الصلاة والزكاة من الدين قوله تعالى: « وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ» [سورة البينة، الآية: ٥] وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله عز وجل حنيفاً متبعاً لشريعته.

(٢) هذ من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكوة من العبادة ولكن سبحانه تعالى نص عليهما لما لهما من الأهمية فالصلاحة عبادة البدن، والزكوة عبادة المال وما قررتان في كتاب الله عز وجل.

(٣) أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكوة.

(٤) أي دين الملة القيمة التي لا إعوجاج فيها لأنها دين الله عز وجل ودين الله مستقيم كما قال الله تعالى: « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِي أَشْبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاحة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل إلى الشرك، فمن

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ<sup>(١)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَتَائِهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ »<sup>(٢)</sup> [سورة البقرة، الآية: ١٨٣] ، وَدَلِيلُ الْحَجَّ<sup>(٣)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

لَمْ يَخْلُصْ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ مُوْحَدًا ، وَمِنْ جَعْلِ عِبَادَتِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مُوْحَدًا .

(١) أي دليل وجوبه قوله تعالى: « يَتَائِهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ » وفي قوله « كَمَا كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » فوائد :

أولاً: أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا وهذا يدل على محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة .

ثانياً: التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدتها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان .

ثالثاً: الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها .

(٢) بين الله عز وجل في هذه الآية حكمة الصيام بقوله: « لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ » أي تتقوون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الفائدة بقوله: « مَنْ لَمْ يَدْعُ قُولَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ اللَّهُ بِحَاجَةٍ إِنْ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ »<sup>(١)</sup> .

(٣) أي دليل وجوبه قوله تعالى: « وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ » إلخ .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم ، باب: مَنْ لَمْ يَدْعُ قُولَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصُّومِ .

مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»<sup>(١)</sup> [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج ولكن الله عز وجل قال: «مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ففيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

(١) في قوله تعالى «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» دليل على أن ترك الحج من استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) أخرجه الترمذى، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة.

**الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ<sup>(١)</sup> : الْإِيمَانُ<sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ بِضَعُونَ<sup>(٣)</sup> وَسَبْعُونَ شُعْبَةً<sup>(٤)</sup> ، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى<sup>(٥)</sup> عَنِ الظَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ<sup>(٦)</sup> شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، . . . . .**

- (١) أي من مراتب الدين.
- (٢) الإيمان في اللغة: التصديق.
- وفي الشرع «إعتقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بضم وسبعون شعبة».
- (٣) البضم: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.
- (٤) الشعبة: الجزء من الشيء.
- (٥) أي إزالة الأذى وهو ما يؤذى المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وما له رائحة كريهة ونحو ذلك.
- (٦) الحياء صفة افعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضم وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأله النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»<sup>(١)</sup>.

(١) تقدم تخرجه.

وَأَرَكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تَؤْمِنْ بِاللَّهِ<sup>(١)</sup>، . . . . .

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعين  
سبعة ولهذا سمي الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ  
إِيمَانَكُمْ» [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] قال المفسرون يعني صلاتكم إلى بيت  
المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى  
بيت المقدس.

(١) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

**الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:**

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١ - أما دلالة الفطرة على وجوده: فإنَّ كل مخلوق قد فطر على الإيمان  
بخالقه من غير سبق تفكير أو تعلم، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة  
إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «ما من مولود إلاَّ يولدُ  
على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»<sup>(١)</sup>.

٢ - وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأنَّ هذه المخلوقات سابقتها  
ولا حقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها،  
ولا يمكن أن تُوجَدَ صدفة.

لا يمكن أن تُوجَدَ نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلقُ نفسه، لأن قبل  
وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ومسلم،  
كتاب القدر، باب: ما من مولود يولد إلاَّ على الفطرة.

.....

ولا يمكن أن تُوجَد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، وأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف، والإرتباط الملتحم بين الأسباب ومسبياتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن تُوجَد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾ [سورة الطور، الآية: ٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى ، ولهذا لاماسمع - جبير بن مطعم - رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوَقِّنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور، الآيات: ٣٧-٣٥] وكان - جبير - يؤمذن مشركاً قال : «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» رواه - البخاري - مفرقاً<sup>(١)</sup>.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك ، فإنه لو حدثك شخص عن قصیر مُشید ، أحاطت به الحدائق ، وجرت بينها الأنهر ، وملئ بالفرش والأسرة ، وزين

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الطور جـ ٤ ، ص ١٨٣٩ .

.....

بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته ، وقال لك : إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه ، أو وُجدَ هكذا صدفة بدون مُوجد ، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه ، وعددت حديثه سفها من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه ، وأفلاكه وأحواله ، ونظامه البديع الباهر ، قد أوجد نفسه ، أو وُجد صدفة بدون موجد !

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى : فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه ، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به .

٤- وأما أدلة الحسن على وجود الله فمن وجهين :

أحدهما : أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٧٦] و قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٩] وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه : « أَنَّ أَعْرَابِيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطبُ ، فقال : (يا رسول الله) ، هلك المال ، وجاء العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزلُ عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره

قال : (يا رسول الله) تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : «اللهم حوالينا ولا علينا» ، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت<sup>(١)</sup> .  
ومازالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا من صدق اللجوء  
إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة .

الوجه الثاني : أنَّ آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسليهم ، وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصرًا لهم .

مثال ذلك : آية موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثنى عشر طریقاً يابساً ، والماء بينها كالجبال ، قال الله تعالى : «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوِيدِ الْعَظِيمِ» [سورة الشعرا ، الآية : ٦٣] .

ومثال ثان : آية عيسى عليه السلام حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله ، قال الله تعالى : «وَأَحْيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» [سورة آل عمران ، الآية : ٤٩]  
وقال : «وَإِذْ تُخْرُجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» [سورة المائدة ، الآية : ١١٠] .

ومثال ثالث : لمحمد عليه السلام حين طلبت منه قريش آية ، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرأاه الناس ، وفي ذلك قوله تعالى : «أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : رفع اليدين في الدعاء . ومسلم ، كتاب الاستسقاء ، باب : الدعاء في الاستسقاء .

.....

**القَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا إِيمَانَهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسِيرٌ \*** [سورة القمر، الآيتين: ١، ٢].  
فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصرة لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

### الثاني: الإيمان بربوبيته:

أي بأنه وحده رب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** [سورة الأعراف، الآية: ٥٤] وقال: **﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾** [سورة فاطر، الآية: ١٣].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول، كما حصل من - فرعون - حين قال لقومه: **﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾** [سورة النازعات، الآية: ٢٤] وقال: **﴿يَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾** [سورة القصص، الآية: ٣٨] لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا﴾** [سورة التمل، الآية: ١٤] وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: **﴿لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَتُولَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرُ عَوْنَتْ مَشْبُورًا﴾** [سورة الإسراء، الآية: ١٠٢].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: **﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ \* سَيَقُولُونَ**

.....

َلِهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \*  
 سَيَقُولُونَ لِهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُونَ \* قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَاءٍ وَهُوَ  
 يُحِيرُ وَلَا يُجَاهِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِهِ قُلْ فَإِنِّي تَسْحَرُونَ»  
 [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤-٨٩].

وقال الله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ  
 خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» [سورة الزخرف، الآية: ٩] وقال: «وَلَئِنْ سَأَلَهُمْ مَنْ  
 خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يَوْمَ الْقُرْبَانَ» [سورة الزخرف، الآية: ٨٧].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعى فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخاذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

### الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و «الإله» بمعنى «المألوه» أي «المعبود» حباً و تعظيمًا، وقال الله تعالى: «وَإِلَهَكُمْ إِلَهُكُمْ وَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» [سورة البقرة، الآية: ١٦٣] وقال تعالى: «شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِلًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [سورة آل عمران، الآية: ١٨]. وكل ما اتخذ إليها مع الله يعبد من دونه فالإلهية باطلة، قال الله تعالى: «ذَلِكَ يَأْبَى اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَى مَا يَكْتُبُ مِنْ

دُونِهِ هُوَ الْبَنِطُولُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» [سورة الحج، الآية: ٦٢] وتسميته ألهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناها) : «إِنَّهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة النجم، الآية: ٢٣] وقال عن هود أنه قال لقومه : «أَتَجْحَدُونَنِي فِي أَسْمَالِي وَسَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة الأعراف، الآية: ٧١] وقال عن يوسف أنه قال لصاحب السجن : «إِنَّ رَبَّكَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ» [سورة يوسف، الآيتين: ٤٠، ٣٩] ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم «أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» ولكن أبي ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله ألهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى ، ويستنصرون بهم ، ويستغثيون .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الألهة ببرهانين عقليين :

الأول : أنه ليس في هذه الألهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تحجب نفعاً لعبادتها ، ولا تدفع عنهم ضرراً ، ولا تملك لهم حياة ، ولا موتاً ، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى : «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَهْلَهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» [سورة الفرقان، الآية: ٣].

وقال تعالى : «قُلِ ادْعُوا أَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ

.....  
 ذرَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَاهِيرٍ  
 \* وَلَا تَفْعُلُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» [سورة سباء، الآيتين: ٢٢، ٢٣].

وقال: «أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ \* وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا  
 أَنفُسَهُمْ يَصْرُونَ» [سورة الأعراف، الآيتين: ١٩١، ١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفة،  
 وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقررون بأن الله تعالى وحده رب الخالق  
 الذي بيده ملوكوت كل شيء، وهو يحيي ولا يحيي عليه، وهذا يستلزم أن  
 يوحّدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
 أَعْبُدُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لَكُمْ  
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [سورة البقرة، الآيتين: ٢٢، ٢١] وقال:  
 «وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَفَلَا يُؤْفَكُونَ» [سورة الزخرف، الآية: ٨٧]

وقال: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمَاءَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ  
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتَ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيَّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ  
 أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَفَلَا تَتَرَفَّوْنَ» [سورة يومن، الآيتين: ٣٢، ٣١].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء

والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكليف، ولا تمثيل، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية : ١٨٠] وقال : ﴿ وَلَهُ الْمُثْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم، الآية : ٢٧] وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى، الآية : ١١] .

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان :

إحداهما : (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها :

الأول : أنه يستلزم لوازن باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفي أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتکذیب بعضه بعضًا.

الثاني : أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعانى الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعيتها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات،

.....

---

فالتبان بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم .

**الطائفة الثانية :** (المتشبه) الذين أثبتو الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص ، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها :

**الأول :** أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل ، والشرع ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلأ .

**الثاني :** أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكتنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته ، وصفاته .

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ، لأن حقيقة السمع تبيان حتى في المخلوقات ، فالتبان فيها بين الخالق والمخلوق ، أبين وأعظم .

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الإستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكن حقيقة الإستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه ، لأن حقيقة الإستواء تبيان في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالإستواء على رحل بعيد صعب نفور ، فإذا تبانت في حق المخلوق ، فالتبان فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم .

وَمَلَائِكَتِهِ<sup>(١)</sup> .. . . . .

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يشمل للمؤمنين ثمرات جليلة منها:  
الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعقد بغيره رجاء، ولا  
خوفاً، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى  
وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

(١) الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون الله تعالى، وليس لهم من  
خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنهم  
الانقياد التام لأمره، والقدرة على تنفيذه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدُهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \*  
يُسَيِّحُونَ أَيْلَمْ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآيتين: ١٩، ٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من  
حديث أنس رضي الله عنه في قصة المراجج أن النبي ﷺ رفع له البيت  
المعmor في السماء يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذ خرجوا لم يعودوا  
إليه آخر ما عليهم. <sup>(١)</sup>

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

**الأول: الإيمان بوجودهم.**

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب:  
الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رأه على صفتة التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. (١)

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (بجبريل) حين أرسله تعالى إلى - مريم - فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأنسد ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان، وال الساعة، وأمارتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم. (٢)

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتبسيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، ٣٢٣٣-٣٢٣٢.

(٢) تقدم تخریجه.

- وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة .
- مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل .
- ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات .
- ومثل: إسرافيل الموكل بالنفح في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق .
- ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت .
- ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار .
- ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنحة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد .
- ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمالبني آدم وكتابتها لكل شخص ، ملكان: أحدهما عن اليمين ، والثاني عن الشمال .
- ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه .
- والإيمان بالملائكة يشمل ثمرات جليلة منها:**
- الأولى:** العلم بعظمته الله تعالى ، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق .
- الثانية:** شكر الله تعالى على عنایته ببني آدم ، حيث وكلَّ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .
- الثالثة:** محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى .

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: «الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِنَاءِ أَجْنِحَةُ مَشَنَّ وَثَلَاثَ وَرَبِيعٍ» [سورة فاطر، الآية: ١].

وقال: «وَلَوْ تَرَى إِذَا يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَصْرِيُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدَبَرَهُمْ» [سورة الأنفال، الآية: ٥٠].

وقال: «وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوكُمْ أَنفُسَكُمْ» [سورة الأنعام، الآية: ٩٣].

وقال: «حَقٌّ إِذَا فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ أَعْلَى الْكِبَرِ» [سورة سباء، الآية: ٢٣].

وقال في أهل الجنة: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَرِعَمَ عَقْبَى الدَّارِ» [سورة الرعد، الآيات: ٢٣، ٢٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». <sup>(١)</sup>

(١) آخر جه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب البر والصلة، باب: إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده.

وَكُتُبِهِ<sup>(١)</sup>، .....

وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فال الأول، فإذا جلس الإمام طرفة الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر». <sup>(١)</sup>

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائرون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

(١) الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلتها تعالى على رسليه رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

**الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.**

**الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.**

**الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.**

**الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: الاستماع إلى الخطبة. ومسلم، كتاب الجمعة، باب: فضل التهجير يوم الجمعة.

..... وَرَسِيلِهِ<sup>(١)</sup>، .....

فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيَّمًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨] أي (حاكمًا عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحي منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهدى بهم به.  
الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعيه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّكُلٌّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨].

(١) الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.  
والمراد هنا: من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبلیغه.  
وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٣].

وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر، إليهم ويقول: ائتو نوحًا أول رسول بعثه الله - وذكر تمام الحديث).<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: كلام الله مع الأنبياء يوم القيمة. ومسلم، كتاب =

.....  
 وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشرعية مستقلة إلى قومه، أونبي يوحى إليه بشرعية من قبله ليجددها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَبِي أَعْبُدُوا إِلَهَهُ وَاجْتَنَبُوا الظَّلْفُوتَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْتَّنِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤].

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيَّبَ لَا سَتَكْتَرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّى السَّوْءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا \* قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾ [سورة الجن، الآيتين: ٢١، ٢٢].

وتتحققهم خصائص البشرية من المرض، والموت، وال الحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِنِي \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ﴾

.....

**وَالَّذِي يُمْسِي نُمَّرَ مُتَحِينٍ** ﴿ [سورة الشعرا، الآيات: ٨١-٧٩].

وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني». <sup>(١)</sup>

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم ، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: «إِنَّمَا كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» [سورة الإسراء، الآية: ٣] وقال في محمد ﷺ: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [سورة الفرقان، الآية: ١].

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صل الله عليهم وسلم : «وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْآيَتِيْ وَالْأَبْصَرِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ مِنْ خَالِصَةِ ذَكْرِ الدَّارِ \* وَلَيَهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ» [سورة ص، الآيات: ٤٧-٤٥]

وقال في عيسى بن مريم ﷺ: «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» [سورة الزخرف، الآية: ٥٩].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ» [سورة الشعرا، الآية: ١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبواه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا

(١) آخرجه البخاري ، كتاب القبلة ، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان . وسلم ، كتاب المساجد ، باب: السهو في الصلاة والمسجد له .

محمدًا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون لل المسيح بن مریم غير متبعين له أيضًا، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشرتهم به إلا أنه رسول إليهم ين Caldwellهم الله به من الصلاة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيقَاتُهُمْ وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧] وفي سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الْدِينِ مَا وَصَّنَا لَكُمْ تُوحَّادُوا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا إِلَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تُنَفِّرُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صَحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشرعية من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمه الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبيّنوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبلیغ رسالته، والنصر لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾ فُلْقُوكَ في الْأَرْضِ مَلَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾

[سورة الإسراء، الآيتين: ٩٤، ٩٥] فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ أَبَاؤُنَا فَأَتُونَا سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ قالت لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنَّنَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكُنَّ اللَّهَ يُمْنَعُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِكُمْ سُلْطَانٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتين: ١٠، ١١].

## واليوم الآخر<sup>(١)</sup>

(١) اليوم الآخر : يوم القيمة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وسمى بذلك لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : الإيمان بالبعث : وهو إحياء الموتى حين ينفح في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير متعلمين ، عراة غير مستردين ، غرلاً غير مختتنين ، قال الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ فَيُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعِيلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٤] .

والبعث : حق ثابت دلّ عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَقُولُوا \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتين : ١٥ ، ١٦] .

وقال النبي ﷺ : « يحشر الناس يوم القيمة حفاة غرلاً »<sup>(١)</sup> متفق عليه . وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاذًا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسليه قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْشًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥] وقال لنبيه ﷺ : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْءَانَ لَرَأَدَكُ إِلَى مَعَادٍ » [سورة القصص ، الآية : ٨٥] .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرفاق ، باب : كيف الحشر . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب : الدنيا وبيان المحشر يوم القيمة .

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء : يحاسب العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، السنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴾ [سورة الغاشية ، الآيتين : ٢٥ ، ٢٦] وقال : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْشُ أَمْثَالَهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُحْرَجَ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٦٠] وقال : ﴿ وَنَصِيبُ الْمَوْزِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّكَةٍ مِّنْ خَرَدِلٍ أَنِّيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَنَا ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ - قال : « إن الله يدни المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول : نعم أي رب حتى إذا قرر بذنبه ، ورأى أنه قد هلك قال : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطي كتاب حسناته ، وأمام الكفار والمناقون فينادي بهم على رؤوس الخلاق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ». <sup>(١)</sup> متفق عليه .

وصحّ عن النبي ﷺ : « أن من هم بحسنة فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسناً إلى سبعين حسنة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأن من هم بسيئة فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة ». <sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري ، كتاب المظالم ، باب : قوله تعالى : « ألا لعنة الله على الظالمين ». ومسلم ، كتاب التوبة ، باب : قبول توبه القاتل وإن كثر قتله .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب : من هم بحسنة أو سيئة . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السموات .

.....

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإنَّ الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يحب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم.

فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزعه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ \* فَلَنَقْصَنَ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتين: ٦، ٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المال الأبدى للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقيين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين الله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُحْسُنُونَ \* جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدِيدٌ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّاضِيَ اللَّهَ عَنْهُمْ وَرَضِيَّ عَنْهُمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ﴾ [سورة البينة، الآيتين: ٧، ٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَرَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنkal ما لا يخطر على

البال قال الله تعالى : « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعْدَتْ لِلْكُفَّارِينَ » وقال : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُقُهَا وَإِنْ يَسْتَغْشُوا مُغَاوِيًّا إِلَّا مُهْلِكٍ يَشْوِي الْمُجُوهَ بِنَسْ أَشْرَابٍ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » [سورة الكهف، الآية: ٢٩] وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفَّارِينَ وَأَعْدَهُمْ سَعِيرًا \* خَلِيلِنَّ فِيهَا أَبْدًا لَا يَمْحُدُونَ وَلِئَلَا وَلَا نَصِيرُكَ \* يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَنْلَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ لَا » [سورة الأحزاب، الآيات : ٦٤-٦٦].

ويتحقق بالإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل :

(أ) فتنة القبر : وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول : ربى الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ﷺ . ويصلُّ الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدرى . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

(ب) عذاب القبر ونعيمه : فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ إِلَيْوْمَ تُجْزَوُنَ عَذَابَ الْهُنُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِنْ حَقِّ وَكُنْتُمْ عَنِ اِيمَانِكُمْ تَسْتَكْبِرُونَ » [سورة الأنعام، الآية: ٢٣].

وقال تعالى في - آل فرعون - : « الْنَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا عُذْرًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » [سورة غافر، الآية: ٤٤].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال : « فلو لا أن لا تدافنوا الدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم

أقبل بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال »<sup>(١)</sup>.

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقَمُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرِزُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٤١].

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلْقَومَ \* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تُنَظَّرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنَ لَا تُبَصِّرُونَ \* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ \* فَإِنَّمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْرِثِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة ، الآيات : ٨٣-٨٩].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملائكة في قبره : «ينادي مناد السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتتحوا له باباً إلى الجنة ، قال فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مدّ بصره»<sup>(٢)</sup> رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل .

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤/٢٨٧ ، وأبو داود ، كتاب السنة ، باب : المسألة في عذاب القبر ، والهيثمي في «جمع الزوائد» ٣/٤٩-٥٠ ، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/١٠ ، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/٣٧٤ ، والآجري في «الشرعية» ص ٣٢٧ ، وقال الهيثمي : «رواه أحمد وروجاته رجال الصحيح» .

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.  
الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك  
اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة  
وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشع، والحس ، والعقل .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى : ﴿رَأَمْعَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَثُّوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي  
لَنْ يُبَعْثَثَ ثُمَّ لَنْ يُبَرُّو بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن ، الآية: ٧] وقد  
اتفقت جميع الكتب السماوية عليه .

وأما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة  
البقرة ، خمسة أمثلة على ذلك وهي :

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له : ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ  
جَهَرَةً﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٥٥] فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك  
يقول الله تعالى مخاطباًبني إسرائيل : ﴿وَلَذِكْلَتْمُ يَمْوَسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى  
اللَّهَ جَهَرَةً فَأَخَذَنَكُمُ الصَّدِيقَةَ وَأَنْشَمَ نَنْظَرُونَ \* ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [سورة البقرة ، الآيتين: ٥٦ ، ٥٥].

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتلهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَاتَلُتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهُ ثُمَّ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْنِيُونَ \* فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَصْبَهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللهُ الْمُؤْمِنَ وَرُبِّكُمْ لَعْنَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآيتين: ٧٢، ٧٣].

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألف فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَهُمُ الْوُفُّ حَذَرَ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوْتَوْا ثُمَّ أَحْيَهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٣].

المثال الرابع: في قصة الذي مرَّ على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى ، فأماته الله تعالى مئة سنة ، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحِيٌّ هَذِهِ أَلَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعْثَمَ قَالَ كَمْ لَيَشَتُّ قَالَ لَيَشَتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيَشَتُ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى حَمَارِكَ وَلَا جَعْلَكَ إِنَّكَ لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِطَاءِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٩].

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأله الله تعالى أن يريه

كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلشمن الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْفِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تَقْرِئْ مِنْ قَالَ بَلٌ وَلَا كُنْ لِي طَمَّيْنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الظَّاهِرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَنِينَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، وال قادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادةه، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٧] وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤] وقال أمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس، الآية: ٧٩].

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيه شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، وال قادر على إحيائها

بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَيْمَنِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُحِيطُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَرِّكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَاحَتِ وَحَبَّ الْحَصِيدِ \* وَالنَّخْلَ بَاسْقَدَتِ لَهَا كَلْعٌ نَضِيدُ \* رِزْقًا لِلْعَبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا كَذَلِكَ الْخَرْوَجُ ﴾ [سورة ق ، الآيات : ١١-٩] .

وقد ضللَّ قوم من أهل الرزغ فأنكروا عذاب القبر ، ونعمته ، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع ، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق .

وهذا الزعم باطل بالشرع ، والحس ، والعقل :

أما الشرع : فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعمته في فقرة (ب) مما يتحقق بالإيمان باليوم الآخر .<sup>(١)</sup>

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس رضي الله عنهما قال : «خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما»<sup>(٢)</sup> وذكر الحديث ، وفيه : «أن أحدهما كان لا يستتر من البول» وفي - رواية - «من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنمية» .

وأما الحس : فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم

(١) انظر : ص ١٠٣ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الوضوء ، باب : من الكبار أن لا يستبراً من بوله . ومسلم ، كتاب الطهارة ، باب : الدليل على نجاسته البول ووجوب الاستبراء منه .

فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً بما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخوه الموت ولهذا سماه الله تعالى «وفاة» قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للموقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفتة، ومن رأه على صفتة فقد رأه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا مكتناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون مكتناً في أحوال الآخرة؟!

وأما إعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:  
الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

**وكم من عائب قولًا صحيحًا وافتء من الفهم السقيم**

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحسن، ولو كانت تدرك بالحسن لفاقت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوي المؤمنون بالغيب، والجادون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت

دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بسيج ، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه . ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي ، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ، والصحابة لا يرون الملك ، ولا يسمعونه .

الرابع : أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود ، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن ، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً . ومع ذلك هو محجوب عنا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿تَسْبِيحُ لَهُ الْمُتَّوَاتُ  
السَّبَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّ لَا ثَفَقُهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٤٤] وهكذا الشياطين ، والجن ، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً ، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين . ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَأَبْنَى آدَمَ لَا يَقْنَتَنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ  
الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِرُبِّهِمَا سَوْءَهُمَا إِنَّهُ يَرَنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا  
نُرَوُنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أُولِيَّأَلِلَّهِنَّ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٢٧] وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه .

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٍ وَشَرًّا<sup>(١)</sup>. وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانَ السَّتَّةِ قَوْلُهُ

(١) القدر بفتح الدال : «تقدير الله تعالى للكائنات ، حسبما سبق علمه ، واقتضته حكمته» .

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً ، أولاً وأبداً ، سواء كان ذلك ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .

الثاني : الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى : ﴿أَلمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج ، الآية : ١٧٠] .

وفي صحيح مسلم - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» .<sup>(١)</sup>

الثالث : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى ، سواء كانت ما يتعلق بفعله أم ما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله : ﴿وَرَبُّكَ يَحْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٨٦] ، وقال : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧] وقال : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ كُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَّا لَكُمْ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٩٠] وقال : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْرُرُونَ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١١٢] .

(١) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب : ذكر حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

تعالى : ﴿ لَيْسَ الِّرَّأْنُ تُولُوا وُجُوهُكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الِّرَّأْنَ مَنْ

الرابع : الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة الله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى : ﴿ أَللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦٢] وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ نَفْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢] وقال عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ٩٦] .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها ، لأن الشرع الواقع دالان على إثبات ذلك له .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة : ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّهِ مَثَابًا ﴾ [سورة النبأ ، الآية : ٣٩] وقال : ﴿ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شَيْتُمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣] وقال في القدرة : ﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [سورة التغابن ، الآية : ١٦] وقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦] .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك ، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي ، وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش ، لكن مشيئة العبد وقدرته واقutan بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة التكوير ، الآيتين : ٢٨ ، ٢٩] ولأن الكون كله ملك الله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من

ءَامِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ» [سورة البقرة، الآية: ١٧٧]

الواجبات أو فعل من المعاشي ، وعلى هذا فاحتاجه به باطل من وجوه :

الأول : قوله تعالى : « سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا أَبَأْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ هَتَّىٰ ذَأْفُوا بِأَسْنَاقِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَنْعِونَ إِلَّا أَطْنَانٌ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ » [سورة الأنعام ، الآية: ١٤٨] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه .

الثاني : قوله تعالى : « رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » [سورة النساء ، الآية: ١٦٥] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل ، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى .

الثالث : ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحدٍ إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله؟ قال لا اعملوا فكل ميسير ، ثم قرأ « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَنَا وَأَنْفَقَنَا »<sup>(١)</sup> الآية . وفي لفظ لمسلم : « فكل ميسر لما خلق له »<sup>(٢)</sup> فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر .

الرابع : أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ، قال الله تعالى : « فَانْقُوا اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ » [سورة التغابن ، الآية: ١٦] وقال : « لَا يَكْلُفُ

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير .

(٢) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي . . .

**وَدَلِيلُ الْقَدْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى :** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: ٤٩]

الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴿ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦] ولو كان العبد مجرأً على الفعل لكن مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

**الخامس:** أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحيثئذ تتضمن حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

**ال السادس:** أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتاج على عدوه بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتاج بالقدر؟! أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

**وإليك مثلاً** يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتاج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتاج بالقدر؟!

**مثال آخر:** نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهي عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء

والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتاج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتاج بالقدر؟!

**السابع:** أن المحتاج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتاج بالقدر، وقال: لا تلمني فإنّ اعتدائى كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الإحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتاج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

**الثانية:** أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، واعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

**الثالثة:** الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروره، لأن ذلك بقدر الله الذي له

ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرُأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَامَ تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَهُوا بِمَا أَتَدْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [سورة الحديد، الآيتين: ٢٢، ٢٣] و يقول النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إنَّ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(١)</sup> رواه مسلم.

وقد ضل في القدر طافtan:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرة الذين قالوا إنَّ العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفتين الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع :

أما الشرع : فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة ، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢] وقال: «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلَيَؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلَيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُهَا» [سورة الكهف، الآية: ٢٩] الآية . وقال: «مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِعِلَّهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ

(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب: المؤمن أمره كله خير .

لِلْعَيْدِ ﴿٤٦﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الإختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مرید لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل.

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّ أَخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْيَنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَّنَاهَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِي لَأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

**المُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ، رَكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ:** «أَنْ تَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ شَيْسُوتُكَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ \* الَّذِي يَرَنَكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ \* إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعرا، الآيات: ٢١٧ - ٢٢٠] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَاءٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْيِضُونَ فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> [سورة يونس، الآية: ٦١].

(١) الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويفك الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

فأما المال فأن ينفق ويصدق ويذكر وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله عز وجل، ويلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبناته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرره عنه، أو بجلب خير له.

وأما بعلمه فإن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً في الحلقات وال المجالس

العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست في مجلساً جعلت تعظهم وتحدث إليهم، لأن النبي ﷺ كان يتحولهم بالموعظة، ولا يكثرون لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثره من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة»<sup>(١)</sup>. فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدلله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فإن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي ﷺ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبد كأنه يراه، فيقصده وينبئ إليه ويتقرّب إليه سبحانه تعالى، «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله - عز وجل - كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائفة منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: فضل من حمل متاع صاحبه. ومسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدق يقع في كل نوع من المعروف.

.....

الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.

وعبادة الله - سبحانه وتعالى - هي كما قال ابن القيم - رحمه الله - :

**وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنا**

فال العبادة مبنية على هذين الأمرين : عاية الحب ، وغاية الذل ، ففي الحب الطلب ، وفي الذل الخوف والهرب ، فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل . وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه ، فإنه سوف يكون مخلصاً لله - عز وجل - لا يريد بعبادته رباء ولا سمعة ، ولا مدحًا عند الناس ، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطّلعوا ، الكل عنده سواء ، وهو محسن العبادة على كل حال ، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرض الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته ، وأن تكون عبادته مع ربه سرًا ، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام ، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدي به ، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراساً يسرون عليه ، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير ، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء ، لهذا يبني الله - عز وجل - على الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية ، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا ، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه ، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنتوه .

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح ، كلما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل .

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلُ الْمَسْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بِيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا لَا يُرَى عَلَيْهِ أثْرٌ السَّفَرِ وَلَا يَعْرُفُهُ مِنَ أَحَدٍ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحْجُجَ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» قَالَ: صَدَقْتُ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَانَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةَ رَبَّتَهَا، وَأَنَّ تَرَى الْحُفَّةَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيَّاً فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». <sup>(١)</sup>

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل . ١٤٣ / ٣

**الأَصْلُ الثَّالِثُ<sup>(١)</sup>** : مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ . وَهُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ ، ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا

(١) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه.

وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور :

**الأول** : معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

**الثاني** : معرفة سنّه ، ومكان ولادته ، وبهاجره وقد بينها الشيخ بقوله : «وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وببلده مكة ، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثة وخمسين سنة ، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين ، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

**الثالث** : معرفة حياته النبوية وهي ثلاثة وعشرون سنة فقد أوحى إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه :

وأدت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

**الرابع** : بماذا كان نبياً رسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى : «أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلِيقٍ \* أَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَرِ \* عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» [سورة العلق، الآيات : ١-٥] ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى : «يَتَأَبَّهَا الْمُدَّثِرُ \* فَهُوَ فَانِزَرُ \* وَرَبِّكَ

**أفضل الصلاة والسلام.** وله من العمر: ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشروننبياً ورسولاً،نبياً ياقراً. وأرسل بالمدثر، وبآلهة مكة، وهاجر إلى المدينة.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعوه إلى التوحيد<sup>(١)</sup>. والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْثُرُ فَإِنَّ رَبَّكَ فَكِيرٌ وَّشَابَكَ فَطَهَرَ

﴿فَكِيرٌ وَّشَابَكَ فَطَهَرَ وَالرُّجَزَ فَاهْجَرَ وَلَا تَمْنَنْ سَتَّكِيرٌ وَلِرَبِّكَ فَاصِيرٌ﴾  
[سورة المدثر، الآيات: ١-٧] ، فقام بِنَذَارَةٍ فأذنر وقام بأمر الله عز وجل.

والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليله، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليله والعمل به فكل رسول النبي، وليس كلنبي رسولاً.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشرعيته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

(١) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(٢) النداء لرسول الله بِنَذَارَةٍ.

(٣) يأمر الله عز وجل نبيه بِنَذَارَةٍ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكِثْرُ \* وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرْ [سورة المدثر، الآيات: ٧-١]. ومَعْنَى ﴿فَهْرَ فَانِذْرَ﴾: يُنذِرُ عَنِ الشَّرِّكِ وَيَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكِيرْ﴾ أَيْ: عَظَمُهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ﴾ أَيْ: طَهَرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِّكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُونَ إِلَى التَّوْحِيدِ<sup>(١)</sup> وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup>، .....

(١) أي أن النبي ﷺ، بقي عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل وأفراده بالعبادة سبحانه وتعالى.

(٢) العروج الصعود ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج، الآية: ٤] وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضلته الله به قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيماناً تهيئه لما سيقوم به ثم أتى بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها البراق يضع خطوه عند متهى طرفه فركبها ﷺ وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك وصل بالأنبياء إماماً بكل الأنبياء والمرسلين يصلون خلفه ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه وأنه الإمام المتبع، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟

قال : نعم . قيل : مرحباً به فنعم المجرى جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبل شمالي بكى ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهم ابنا الحالة كل واحد منها ابن حالة الآخر فقال جبريل : هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلم عليهما ، فردا السلام وقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها يوسف عليه فسلم عليه ، فرد السلام ، وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها إدريس عليه السلام فقال جبريل هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فرد السلام ، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى عليه السلام فقال جبريل هذا هارون فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح . . إلخ . فوجد فيها موسى عليه السلام فقال جبريل هذا موسى فسلم عليه ، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال : «أبكي لأن غلاماً

.....

بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسى حزناً على ما فاته من الفضائل لا حسدًا لأمة محمد ﷺ، ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ، على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ وكان إبراهيم الخليل مستندًا ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتبعدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون في اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يخصيهم إلا الله، ثم رفع النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى فغشتها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسى قال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: خمسين صلاة في كل يوم. فقال: إن امتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجتبني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال النبي ﷺ فرجعت فوضععني عشرًا وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس، فنادى مناد أمضيت فريضتي وخففت على عبادي.

وفي هذه الليلة أدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا تراها المسك ثم نزل رسول الله ﷺ حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح. <sup>(١)</sup>

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات.

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ<sup>(١)</sup>،  
وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ<sup>(٢)</sup> إِلَى الْمَدِينَةِ .. . . . .

(١) وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

(٢) أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر منبعثة وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحى وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربها ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ، ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي ﷺ حيث اجتمع كبراؤهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لابد أن يلحق بهم ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحيثئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جَلِدًا ثم نعطي كل واحد سيفاً صارماً ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف - يعني عشيرة النبي ﷺ - أن يحاربوا قومهم جميعاً فيرضون بالدية فنعطيهم إياها.

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبي ﷺ على رسرك فإني أرجو أن يؤذن لي فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها في بينما نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهرة في منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب مقتنعاً فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر فدخل النبي ﷺ وقال لأبي بكر: أخرج من عندك . فقال: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي . فقال النبي ﷺ قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله . قال: نعم . فقال: يا رسول الله فخذ إحدى راحلتي هاتين . فقال النبي ﷺ: بالثمن ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلات ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وكان غلاماً شاباً ذكياً واعياً فينطلق في آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبي ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتي به إلينهما حين يختلط الظلام ، فجعلت قريش تطلب النبي ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبي ﷺ حتى جعلوا من يأتي بهما أو بأحدهما ديته مئة من الإبل ، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعنایته ويرعاهم برعايته حتى إن قريشاً ليقفون على باب الغار فلا يرونهم . قال ، أبو بكر رضي الله عنه قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار لو أن أحدكم نظر إلى قدميه لا يبصرنا . فقال: «لا تخزن إن الله معنا ، ما ظنك يا أبو بكر باثنين الله ثالثهما» .<sup>(١)</sup> حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، ومسلم ، =

**والهِجْرَةُ: الِّإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرِكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup> . . . . .**

الغار بعد ثلات ليال متوجهين إلى المدينة على طريق الساحل.

ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كل يوم إلى الحرة يتظرون قدوم رسول الله ﷺ، وصاحبه حتى يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم وإذا رجل من اليهود على أطام المدينة ينظر حاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم يعني هذا حظكم وعزكم الذي تنتظرون فهبّ المسلمين للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيمًا وإجلالًا لرسول الله ﷺ وإيدانًا بإستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي الله عنهم فتلقوه ﷺ بظاهر الحرّة فعدل بهم ذات اليمين ونزل فيبني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرق قال أبو بكر رضي الله عنه خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.

(١) الهجرة في اللغة: «ما خوذة من الهجر وهو الترك».

وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام». وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالاذان والصلوة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه

وَالْهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشَّرِكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبِيَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنُّمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَا حِرْرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَيِّلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup> [سورة النساء، الآيات: ٩٧-٩٩].

عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(١) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(٢) في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة توفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقوله تعالى : ﴿ يَعْبُادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِيَّاهُ فَأَعْبُدُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٥] قال البغوي - رحمة الله تعالى - : سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين يمكنهم لم يهاجروا ؛ ناداهم الله باسم الإيمان<sup>(١)</sup> . والدليل على الهجرة من السنة قوله عليه السلام : « لا تقطع الهجرة حتى تقطع التوبه ولا تقطع التوبه حتى تطلع الشمس من مغربها »<sup>(٢)</sup> .

(١) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه ، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ .

(٢) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيَ عَصُمَاءِيَّتَكَ لَا يَنْفَعُ فَقَسًا لَمَّا كُنْتَ مَأْمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي لَمَّا كَسَبَتْ خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٨] والمراد بعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها .

(تمة) نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر .

فنقول : السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

الشرط الثاني : أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات .

\* أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب : في الهجرة هل انقطعت . وأحمد ج ١ ص ١٩٢ . والدرامي ، كتاب السير ، باب : أن الهجرة لا انقطعت ، والهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٥ ص ٢٥٠ ، وقال : « روى أبو داود والنثائي بعض حديث معاوية - ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغرى من غير حديث ابن السعدي - ورجال أبو حماد ثقات - » .

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وببلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق بإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

· وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطراها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير من أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتدًا عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان - والعياذ بالله - حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتبع التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوى في تلك الممالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسين:

**الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان،**

وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً العداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن مواليتهم، ومحبتهم، فإن مواليتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَنْتَأَهُمْ أَوْ إِحْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ٢٢] الآية: وقال تعالى: ﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ مَآمَنُوا لَا تَتَخَذُوا أَيْهُودَ وَالْأَصْنَارَى أَوْ لِيَاهَ بَعْضُهُمْ أَوْ لِيَاهَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَعْوِنُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَنَا عَلَى مَا أَسْرَوْفُ إِنِّي أَنْفَسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآيتين: ٥٢، ٥١] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب»<sup>(١)</sup>.

وحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة وال الجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: علامه حب الله عز وجل. ومسلم، كتاب الصلة، باب: المرء مع من أحب.

لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص ٤٥٧ ج ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيْنَ أَنفُسِهِمْ قَاتَلُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَاتِلُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَاتَلُوا أَلَّا تَكُونُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسْعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام :

القسم الأول : أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرضاً كفاية على من قدر عليها ، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها ، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ : «بلغوا عنني ولو آية»<sup>(١)</sup> .

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة ، وبطلان التعبد ، وانحلال الأخلاق ، وفوضوية

(١) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بنى إسرائيل .

السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبصدقها تبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنَتَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكاييد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.<sup>(١)</sup>

القسم الثالث: أن يقيم حاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فتحكمها حكم ما أقام من أجله. فالمتحقق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وأدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندريء بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم حاجة خاصة مباحثة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.

.....

بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس : أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة حاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه ، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه ، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوکهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلal . والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذون منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسبون منهم ، ومن أجل خطر هذا القسم وجوب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط :

**الشرط الأول :** أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغر السن» وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم ، وخلقهم ، وسلوکهم ، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفعون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيراً من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا منحرفين في ديانتهم ، وأخلاقهم ، وسلوکهم ، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد ، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضاربة .

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور «اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً على فأضل».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسق، فضعف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت ملائكة ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعوا الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتکثير لسواد الكفار، ويتربى أهله

بين أهل الكفر فياخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما»<sup>(٢)</sup>. رواه أبو داود والترمذى وأكثر الرواية رواه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبي ﷺ، قال الترمذى سمعت محمدًا - يعني البخارى - يقول الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ، مرسل. اهـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتمي إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقاً للحق والصواب.

1

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب : الإقامة بأرض المشركين .

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود. والترمذى، كتاب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين اظهر المشركين.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمْرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلُ : الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجَّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأُمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>.

(١) يقول المؤلف رحمه الله تعالى: لما استقر - أي النبي ﷺ - في المدينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة لكنها لم تقدر أنها واجبة ولم يقدر الواجب فيها، وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: «وَإِنَّا نُوَحِّدُ لِلّهِ حَسَابَهُ» [سورة الأنعام، الآية: ١٤١] ومثل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ \* لِلْسَّابِلِ وَالْمَحْرُومِ» [سورة المعارج، الآيتين: ٢٤، ٢٥] وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنها واجبة فيها وبيان مستحقيتها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرض في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن

أَخْذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُؤْفَى صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامَةُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>

المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(١) أخذ أبي النبي ﷺ عشر سنين بعد هجرته فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره الله لجواره واللحاق بالرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فابتداً به المرض صلوات الله وسلامه عليه في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء، الذين قتلوا في أحد ثم قال: «إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عَنْهُ فَاخْتارَ مَا عَنْدَ اللَّهِ» ففهمها أبو بكر رضي الله عنه فبكى وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا فقال النبي ﷺ: «على رسلك يا أبو بكر» ثم قال: «إِنَّ أَمْنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتَ مُتَخَذِّلًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَخْذُلْ أَبَا بَكْرًا وَلَكِنْ خَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثم شخص بصره نحو السماء وقال: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»<sup>(٢)</sup> فتوفي ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله

(١) أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب: الخوخة والممر في المسجد.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته.

وَدِينُه بَاقٍ . وَهَذَا دِينُه ، لَا خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَدَّرَهَا مِنْهُ ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ : التَّوْحِيدُ ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ . وَالشَّرُّ الَّذِي حَدَّرَ مِنْهُ : الشَّرُكِ وَجَمِيعُ مَا يُكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ . بَعْثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً<sup>(١)</sup> ، وَافْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ النَّقْلَيْنِ : الْحِنْ وَالْإِنْسُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَتَأْيَهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾<sup>(٢)</sup> [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨] .

وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ فَإِنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَدِكُمْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٠] فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات الله وسلامه عليه في ثيابه تكريما له، ثم كفن بثلاثة أنواع أي لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه إرسالاً بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبادرة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١) بَعْثَهُ اللَّهُ أَيْ أَرْسَلَهُ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً أَيْ جَمِيعًا .

(٢) فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا وَأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ بِيَدِهِ الْإِحْيَا وَالْإِمَاتَةِ ، وَأَنَّهُ سَبَحَانَهُ هُوَ الْمُتَوَحِّدُ بِالْأَوْهِيَةِ كَمَا هُوَ مُتَوَحِّدٌ فِي الرِّبُوبِيَّةِ ، ثُمَّ أَمَرَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَأَنْ نَتَبَعَهُ وَأَنْ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلْهُدَى الْعُلُومِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، هُدَى الْإِرْشَادِ ، وَهُدَى الْهُدَى .

وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَلَيْوَمْ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَلِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا »<sup>(١)</sup> [سورة المائدة، الآية: ٥].

ال توفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين وهم الإنس والجن وسموا بذلك لكثرة عددهم .

(١) أي أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيمة فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بين للأمة جميع ما تحتاجه في جميع شؤونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه : « ما ترك النبي ﷺ طائراً يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا »<sup>(١)</sup> وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم حتى الخراة - آداب قضاء الحاجة - قال : « نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغاطة أو بول أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي برجيع أو عظم »<sup>(٢)</sup> . فالنبي ﷺ بين كل الدين إما بقوله ، وإما بفعله ، وإما باقراره ابتداءً أو جواباً عن سؤال ، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد .

وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشرها ، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشرها ومعادها ، وما يجهله بعض الناس ويدعوه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين ، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال الله تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ يَكُنْ أَيْسَرَ وَلَا يُرِيدُ يَكُنْ أَعْسَرَ » [سورة البقرة، الآية: ١٨٥] ، وقال تعالى : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥/١٦٣.

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الاستطابة .

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [سورة الزمر، الآيتين : ٣٠، ٣١].  
 وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبَعْثُرُونَ<sup>(٢)</sup> ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾<sup>(٣)</sup> [سورة طه، الآية : ٥٥] ، وَقَوْلُهُ حَرَجٌ<sup>(٤)</sup> [سورة الحج، الآية : ٧٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾<sup>(٥)</sup> [سورة المائدة، الآية : ٦] فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَمَامِ نِعْمَتِهِ وَإِكْمَالِ دِينِهِ .

(١) ففي هذه الآية أن النبي ﷺ ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيمة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً .

(٢) بين رحمه الله تعالى في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون ، يبعثهم الله عز وجل أحياء بعد موتهم للجزاء ، وهذا هو الترتيب من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور ، اليوم الذي ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأحواله ما يجعل القلب ينبع إلى الله عز وجل ويخشى هذا اليوم قال الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَنَقُّونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلَدَانَ شَيْبًا \* السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ، كَانَ وَعْدُهُ مَقْعُولًا ﴾ [سورة المزمول ، الآيتين : ١٧، ١٨] .

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتين .

(٣) أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب .

(٤) أي بالدفن بعد الموت .

(٥) أي بالبعث يوم القيمة .

تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِدُّكُمْ فِيهَا وَيَنْهِي جُنُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾<sup>(١)</sup> [سورة نوح، الآيتين : ١٧، ١٨].

وبعد البعث محسبيون وبمحرزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾<sup>(٢)</sup> [سورة النجم، الآية : ٣١] :

(١) هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وقد أبدى الله عز وجل وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من العاملين له ومن السعداء فيه .

(٢) يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شرًا فشر قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتين : ٧، ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَصَّعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرَدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبًا ﴾ [سورة الأنبياء، الآية : ٤٧] ، وقال جلا وعلا : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالَهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية : ١٦٠] .

فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله عز وجل وامتناها منه سبحانه وتعالى ، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح ، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكبير ، أما

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثَ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّكَ لَتَعْشَنَ مُمَّا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ »<sup>(١)</sup> [سورة التغابن، الآية: ٧] ، . . . . .

العمل السيء فإن السيئة بمثلها لا يجازي الإنسان بأكثر منها قال تعالى: « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُبْخَرَ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » [سورة الأنعام، الآية: ١٦] وهذا من كمال فضل الله وإحسانه .

ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى: « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا » ولم يقل بالسواءي كما قال: « وَبَخْرِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » .

(١) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى: « وَقَالُوا إِنَّ هَيَّإِلَّا حَيَا نَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَعْوِثَيْنَ \* وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » [سورة الأنعام، الآيتين: ٢٩، ٣٠] ، وقال تعالى: « وَيَلْ يَوْمَدِ لِلشَّكَدِيْنَ \* الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينَ \* وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٍ أَيْضَى \* إِذَا ثُلَّ عَلَيْهِ إِنْشَأَنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* كَلَّا لِنَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَدِ لِلْحَجُّوْبِونَ \* ثُمَّ لِنَهُمْ لَصَالُوا الْجَحِّيْمَ \* ثُمَّ بَعْلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » [سورة المطففين، الآيات: ١٧-١٠] ، وقال تعالى: « بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لَمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا » [سورة الفرقان، الآية: ١١] ، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيَادَتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أَوْلَئِكَ يَبِسُّوا مِنْ رَحْمَتِي وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [سورة العنكبوت، الآية: ٢٣] واستدل الشيخ رحمة الله تعالى بقوله تعالى: « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا » الآية .

وأما إقناع هؤلاء المنكريين فيما يأتي :

.....

**أولاً:** أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشائع السماوية، وتلقته أعمهم بالقبول، فكيف تتذمرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل، ولا في شهادة الواقع؟ !!

**ثانياً:** أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه :

١ - كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم، الآية: ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كَفَاعِلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤] .

٢ - كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى؛ قال الله تعالى : ﴿ لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْثَرُ مِنْ حَلْقِ النَّاسِ ﴾ [سورة غافر، الآية: ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَوْلَئِرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعِي بِخَلْقِهِنَّ يُقْنَدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُحْكِمَ الْمَوْتَ بِلَيْ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ أَوْلَئِسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يُقْنَدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ أَخْلَقُ الْعَلِيمُ \* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس، الآيتين: ٨٢، ٨١] .

٣ - كل ذي بصر يشاهد الأرض مجده ميادة النبات، فإذا نزل المطر

عليها أخصبت وحيي نباتها بعد الموت ، والقادر على إحياء الأرض بعض موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْءَاءِنِّيْهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَيْشَعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْبَرَتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْ يُحِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٩] .

ثالثاً : أن أمر البعث قد شهد الحسن والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى ، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها ، قوله : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ يُحْيِي هَذِهِ الَّلَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا ثَمَّةَ اللَّهُ مِائَةُ عَامٍ ثُمَّ بَعْثَمُ قَالَ كَمْ لِيَشَتَّ قَالَ لِيَشَتَّ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لِيَشَتَّ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى جَمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ إِيمَانَكَ لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا ثُمَّ تَكْسُوْهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩] .

رابعاً : أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت ، ولو لا ذلك لكان حلق الناس عبشاً لا قيمة له ، ولا حكمة منه ، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة . قال الله تعالى : ﴿أَفَحَسِبَتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَشًا وَأَنْكُمْ إِيَّنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتين : ١١٦ ، ١٥٥] ، وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ إِلَيْهَا كَادُ أَخْفِيَهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى﴾ [سورة طه ، الآية : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
**﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَاقِيَّكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** (١)  
[سورة النساء، الآية: ١٦٥] ، . . . . .

بَلَ وَعَدَنَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* لِبَيْنَ لَهُمُ الَّذِي  
يَحْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ \* إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَوْءٍ إِذَا  
أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿سورة النحل، الآيات: ٤٠-٣٨﴾ ، وقال تعالى :  
**﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يَعْتَوْا قُلْ بَلَ وَرَبِّي لَتَعْشَنَ مُمَّا لَتَبْغُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ﴾** [سورة التغابن، الآية: ٧].

فإذا بینت هذه البراهین لمنكري البعث وأصرروا على إنكارهم، فهم  
مکابریون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(١) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الله أرسل جميع الرسل مبشرین ومنذرين  
كما قال تعالى : **﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾** يبشرون من أطاعهم بالجنة  
وينذرون من خالفهم بالنار .

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة  
على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال  
تعالى : **﴿لِتَلَاقِيَّكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾**.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا  
يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به ، ولا يمكنه  
أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة ، ولا يمكن أن يطلع على ما له  
من الأسماء الحسنة ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام

وَأَوْلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ  
أَوْلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ نُوحًا وَالنَّبِيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ »<sup>(١)</sup> [سورة النساء، الآية: ١٦٣].

مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ التوحيد كما قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا  
أَنْبَتْنَا لَهُمْ أَنْبِياءً وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَنْبِياءً وَأَنْبَتْنَا أَنْبِياءً وَجَعَلْنَا  
أَنْبِياءً أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّنْغُوتَ » [سورة النحل، الآية: ٣٦] ، وقال عز  
وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّ  
فَاعْبُدُونَ » [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

(١) بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعالى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ نُوحًا وَالنَّبِيَّنَ مِنْ بَعْدِهِ » [سورة النساء، الآية: ١٦٣] وثبت في ا  
لصحيح من حديث الشفاعة : « إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَيْنَا نُوحًا فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ  
أُولُو رُسُولِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ »<sup>(١)</sup> فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم  
خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل  
الذي يظهر أن إدريس من أنبياءبني إسرائيل .

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى : « مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ

(١) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : كلام الله مع الأنبياء ، يوم القيمة . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة متزلة .

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا<sup>(١)</sup> مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»<sup>(٢)</sup> [سورة النحل، الآية: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالْطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - الطَّاغُوتُ : مَا تَجَاوِزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَبْعُوعٍ، أَوْ مُطَاعِ<sup>(٣)</sup> ؟ .....

رِجَالُكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ الْبَيْكِنُ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>(٤)</sup> [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠] فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

(١) أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك ودليل ذلك قول الله تعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَفَهَا نَذِيرٌ» [سورة فاطر، الآية: ٢٤]، وقال: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ».

(٢) هذا هو معنى لا إله إلا الله.

(٣) أراد شيخ الإسلام رحمة الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عباده والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد و منه قوله تعالى: «إِنَّا لَعَلَّا طَغَى الْمَاءُ حَلَّنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» [سورة الحاقة، الآية: ١١] يعني لما زاد الماء عن الحد المعتمد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

وأصطلاحاً أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - أنه - أي الطاغوت - : «كل ما تجاوز به العبد حده من معبد، أو متبوع، أو مطاع». ومراده بالمعبد والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا - أو اتبعوا - أو أطيعوا فالآصنام التي تبعد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تخليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستور دونها خالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدتهم ، فإن حد العالم أن يكون متبعاً لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماء، وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليمًا ، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة .

وأما قوله - رحمه الله - «أو مطاع» فيريد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدرًا ، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت ، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة ، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة الله - عز وجل - ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نعبد الله تعالى ونقترب إليه بطاعته ، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن

الله تعالى يقول : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ » [سورة النساء ، الآية : ٥٩] .

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوباء في سلطتهم فإن الناس يطعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بواعز الإيمان ، لأن طاعةولي الأمر تكون بواعز الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة ، النافعة لولاة الأمر ، والنافعة للناس أيضًا ، وقد تكون الطاعة بواعز السلطان بحيث يكون قويًا يخشع الناس منه ويهاaponه لأنه ينكل بمن خالف أمره .

ولهذا نقول إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال  
الحال الأولى : أن يقوى الوازع الإيماني والرادراع السلطاني وهذه أكمل  
الأحوال وأعلاها .

الحال الثانية : أن يضعف الوازع الإيماني والرادراع السلطاني وهذه أدنى  
الأحوال وأخطرها على المجتمع ، على حكامه وحكوميه ؛ لأنه إذا ضعف  
الوازع الإيماني والرادراع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والخلقية ،  
والعملية .

الحال الثالثة : أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادراع السلطاني  
وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوي الرادراع السلطاني صار أصلح للأمة في  
المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .

الحال الرابعة : أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادراع السلطاني فيكون  
المظهر أدنى منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى .

وَالْطَّوَاغِيْتُ<sup>(١)</sup> كَثِيرَةٌ وَرُؤُسُهُمْ<sup>(٢)</sup> خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ<sup>(٣)</sup> لَعْنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَبَدَ وَهُوَ رَاضٍ<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ<sup>(٥)</sup>، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمَ الْغَيْبِ<sup>(٦)</sup>؟ .....

(١) جمع طاغوت وسبق تفسيره.

(٢) أي زعمائهم ومقلدوهم خمسة.

(٣) إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْدِين﴾ [سورة ص، الآية: ٧٨] وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لأدم ظهر ما فيه من الخبر والإباء والإستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَفَرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٤].

(٤) أي عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رؤوس الطواغيت - والعياذ بالله - وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

(٥) أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواءً أجبه لما دعا إليه أم لم يحيط به.

(٦) الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

واقع ، ومستقبل ، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً والآخر مجهولاً ، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(١)</sup> .. . . . .

من أطلعه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنَّه مكذب لله عز وجل ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥]، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمدًا ﷺ، أن يعلن للملائكة أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول. كفروا بهذا القول، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلموه؟! وقد قال الله عز وجل عن نفسه: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّمَّا يَسْكُنُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَادًا﴾ [سورة الجن، الآيتين: ٢٦، ٢٧]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملائكة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَابِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠].

(١) الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنَّه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكته وتصرفه، ولهذا سمي الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعهم فقال سبحانه: ﴿أَنْخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهَبَنَتْهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْبِنَ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرَوْا إِلَّا

.....

**لِيَعْبُدُوا إِلَهًا أَوْحَدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**

[سورة التوبة، الآية: ٣١]، فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عباداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم فقال النبي ﷺ: «بل إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم». <sup>(١)</sup>

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بکفره وظلمه، وفسقه.

### فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّغْنُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيَرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَفَقِّينَ يَصْدُرُونَ عَنْكَ صُدُودًا \* فَكَيْفَ إِذَا أَصَبَّتْهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرْدَنَا إِلَّا إِحْسَنَاهُ وَتَوَفَّيْنَا \* أَوْ لَتَهِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظَمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا \* وَمَا أَرْسَلْنَا

(١) رواه الترمذى وحسنه، كتاب التفسير، سورة التوبه، ٥ / ٢٦٢.

.....

من رَسُولِ إِلَّا لِيُطْكَأَعْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ وَكَفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا \* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا نَسْلِيمًا» [سورة النساء، الآيات: ٦٠-٦٥].

فوقى الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات :

**الأولى:** أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت ، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان وإعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله ، قال الله تعالى : «**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**» [سورة الأعراف ، الآية : ٢٥].

**الثانية:** أنهم إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدّوا وأعرضوا .

**الثالثة:** أنهم إذا أصيروا بمصيبة بما قدمت أيديهم - ومنها أن يعثر على صنيعهم - جاءوا يختلفون أنهم ما أرادوا إلَّا الإِحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أن ذلك هو الإِحسان الموفق لأحوال العصر .

ثم حذر - سبحانه - هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه - سبحانه - يعلم ما في قلوبهم وما يكتونه من أمور تخالف ما يقولون ، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولًا بلغاً ، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم ، ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي

هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ، أقسم بها قسمًا مؤكداً أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسلیم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.

وأما القسم الثاني:

فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٣]، قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٥]، قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٧]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تننزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: ﴿وَالْكَفَرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تُوْا وَهُمْ فَسِيْقُونَ﴾ [سورة التوبه، الآية: ٨٤]. فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تننزل على موصوفين بحسب الحال لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشرعات تحالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتخلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محابة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتخلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوادين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله رسوله شركاً.

**والدَّلِيلُ<sup>(١)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ <sup>(٢)</sup> قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾**

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال - كذا العبارة المنسولة عنه - ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهو لاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنب .

وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر شريعاً عاماً والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله لأن المسائل التي تعتبر شريعاً عاماً لا يتأتى فيها التقسيم السابق ، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع شريعاً يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه .

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعل المراء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبيّن له الحق لأن المسألة خطيرة - نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم - كما أن على المراء الذي آتاه الله العلم أن يبيّنه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عن بيّنة ، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

**(١) أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت .**

**(٢) لا إكراه على الدين لظهور أداته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده :**  
**﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾** فإذا تبيّن الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة

فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ<sup>(١)</sup> فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَى<sup>(٢)</sup> [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] وَهَذَا مَعْنَى لِأَهْلِهِ إِلَّا اللَّهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ\*: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ<sup>(٣)</sup> وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ<sup>(٤)</sup> وَذُرُوْةُ  
سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>؛ .....

لابد أن تختار الرشد على الغي .

(١) بدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال التخلية قبل التحلية .

(٢) أي تمسك بها تمسكاً تماماً والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل: «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ»، ولم يقل: (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك .

(٣) أراد المؤلف رحمه الله تعالى الإستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً، فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ الإسلام .

(٤) لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام .

(٥) أي أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره .

\* رواه أحمد ٥/١٣، ٢٣٧، ٢٣١، والترمذى ٥/١٣ برقم ٢٦١٦، وابن ماجه ٢/١٣٩٤ برقم ٣٩٧٣.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

(١) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته  
هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلوة والسلام على  
نبيه محمد ﷺ وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلقبها  
بها فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب ،  
 وأن يجعل لنا نصيباً من أجراها وثوابها ،  
 وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته ،  
 إنه جواد كريم ، والحمد لله  
 رب العالمين ، وصلى  
الله وسلم على  
نبينا

محمد

\*\*\*

\*



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	○ مقدمة الشارح
٩	○ ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
١٣	○ ترجمة فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين
١٧	○ شرح البسملة
١٨	○ العلم ومراتب الإدراك
١٩	○ الفرق بين الرحمة والمغفرة.
١٩	○ المسائل الأربع
١٩	* المسألة الأولى : العلم وهو: معرفة العبد ربه ونبيه ودينه.
٢٢	* المسألة الثانية : العمل به
٢٢	* المسألة الثالثة : الدعوة إليه
٢٤	* المسألة الرابعة : الصبر على الأذى فيه
٢٥	○ أقسام الصبر
٢٥	○ تفسير سورة العصر
٢٧	○ معنى قول الإمام الشافعي لو ما أنزل الله
٢٩	○ المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها.
٢٩	* المسألة الأولى : أن الله خلقنا
٣٠	ورزقنا
٣١	ولم يتركنا هملاً
٣١	بل أرسل لنا رسولًا
٣٣	* المسألة الثانية : إن الله لا يرضي أن يشرك معه أحد في عبادته
٣٥	* المسألة الثالثة : إن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله
٣٧	○ معنى الحنيفية

## الصفحة

## الموضوع

٣٩	○ أعظم ما أمر الله به التوحيد
٤١	○ أعظم ما نهى الله عنه الشرك
٤٢	○ الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها
٤٣	○ الأصل الأول: معرفة العبد ربه
٤٥	* معنى الرب والدليل على ذلك
٤٧	* آيات الله
٥١	* الرب هو المعبود ودليل ذلك وتفسيره
٥٣	* أنواع العبادة على وجه الإجمال
٥٥	• النوع الأول : الدعاء وأنواعه
٥٦	• النوع الثاني : الخوف وهو ثلاثة أنواع
٥٧	• النوع الثالث : الرجاء
٥٨	• النوع الرابع : التوكّل وهو أربعة أنواع
٥٩	• النوع الخامس : الرغبة
٥٩	• النوع السادس : الرهبة
٥٩	• النوع السابع : الخشوع
٦٠	• النوع الثامن : الخشية وهي خمسة أنواع
٦١	• النوع التاسع : الإنابة
٦٢	• النوع العاشر : الاستغاثة وهي ثلاثة أنواع
٦٣	• النوع الحادي عشر: الاستعاذه وهي أربعة أنواع
٦٥	• النوع الثاني عشر : الاستغاثة وهي أربعة أنواع
٦٦	• النوع الثالث عشر : الذبح وهو ثلاثة أنواع
٦٧	• النوع الرابع عشر : النذر
٦٨	○ الأصل الثاني: معرفة العبد دينه
٦٨	* تعريف الإسلام

الصفحة	الموضوع
٦٩	* مراتب الدين
٦٩	● المرتبة الأولى: الإسلام
٧١	- معنى شهادة أن لا إله إلا الله
٧٥	- معنى شهادة أن محمد رسول الله ﷺ
٧٦	- دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد
٧٧	- دليل الصيام والحج
٧٩	● المرتبة الثانية: الإيمان
٧٩	- فائدة في الجمع بين كون الإيمان بضع وسبعون شعبة وأركانه ستة ..
٨٠	□ الركن الأول: الإيمان بالله ويتضمن أربعة أمور:
٨٠	الأول : الإيمان بوجود الله
٨٤	الثاني: الإيمان بربوبيته
٨٥	الثالث: الإيمان بألوهيته
٨٧	الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته
٩٠	ثمرات الإيمان بالله
٩٠	□ الركن الثاني: الإيمان بالملائكة ويتضمن أربعة أمور:
٩٠	الأول : الإيمان بوجودهم
٩١	الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم
٩١	الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم
٩١	الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم
٩٢	ثمرات الإيمان بالملائكة
٩٣	الرد على من أنكر كون الملائكة أجساماً
٩٤	□ الركن الثالث: الإيمان بالكتب ويتضمن أربعة أمور
٩٤	الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله

## الصفحة

## الموضوع

٩٤	الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها
٩٤	الثالث: تصديق ما صح من أخبارها
٩٤	الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها
٩٥	ثمرات الإيمان بالكتب
٩٥	□ الركن الرابع: الإيمان بالرسول ويتضمن أربعة أمور
٩٥	المراد بالرسول
٩٧	الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله
٩٨	الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه
٩٨	الثالث: تصدق ما صح عنهم من أخبارهم
٩٨	الرابع: العمل بشرعية من أرسل إلينا
٩٩	ثمرات الإيمان بالرسول
١٠٠	□ الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر ويتضمن ثلاثة أمور:
١٠٠	الأول : الإيمان بالبعث ودليل ذلك
١٠١	الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء ودليل ذلك
١٠٢	الثالث: الإيمان بالجنة والنار
١٠٥	ثمرات الإيمان باليوم الآخر
١٠٨	الرد على من أنكر البعث بالشرع والحس والعقل
١١١	□ الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره ويتضمن أربعة أمور:
١١١	الأول : العلم
١١١	الثاني: الكتابة
١١١	الثالث: المشيئة
١١٢	الرابع: الخلق
١١٢	هل للعبد قدرة ومشيئة في أفعاله الاختيارية

## الصفحة

## الموضوع

الرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية من	
١١٣ ..... وجوه سبعة	
١١٥ ..... ثمرات الإيمان بالقدر	
١١٦ ..... ضل في القدر طائفتان والرد عليهمما	
١١٨ ..... • المرتبة الثالثة: الإحسان وتعريفه	
١١٨ ..... الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله	
١٢٠ ..... * العبادة مبنية على غاية الحب وغاية الذل	
١٢٠ ..... * فائدة نفيسة متى يكون إظهار العبادة أفضل	
١٢٢ ..... ○ الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه	
١٢٣ ..... * حياة النبي صلى الله عليه وسلم	
١٢٤ ..... * المراج	
١٢٧ ..... * هجرة النبي صلى الله عليه وسلم	
١٢٩ ..... * تعريف الهجرة وحكمها والدليل	
١٣١ ..... * تتمة في حكم السفر إلى بلاد الكفر والإقامة فيها	
١٤٠ ..... * وفاة النبي صلى الله عليه وسلم	
١٤٣ ..... * الإيمان بالبعث ودليله	
١٤٤ ..... * الإيمان بالحساب ودليله	
١٤٥ ..... * حكم التكذيب بالبعث	
١٤٨ ..... * الحكمة من إرسال الرسل	
١٤٩ ..... * أول الرسل وأخرهم	
١٥٠ ..... * دعوة جميع الرسل إلى عبادة الله والنهي عن الشرك	
١٥٠ ..... * الكفر بالطاغوت	
١٥١ ..... * أحسن تعريف للطاغوت	
١٥٢ ..... * أحوال الناس مع حكامهم	

الصفحة	الموضوع
١٥٣	* رؤوس الطواغيت
١٥٣	● الأول : إبليس
١٥٣	● الثاني : من عبد وهو راضٍ
١٥٣	● الثالث : من دعا الناس إلى عبادة نفسه
١٥٣	● الرابع : من ادعى شيئاً من علم الغيب
١٥٤	● الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله
١٦١	○ الخاتمة برد العلم إلى الله تعالى والصلوة والسلام على نبيه ومصطفاه

**تم الفهرس والحمد لله رب العالمين**

\*\*\*

